

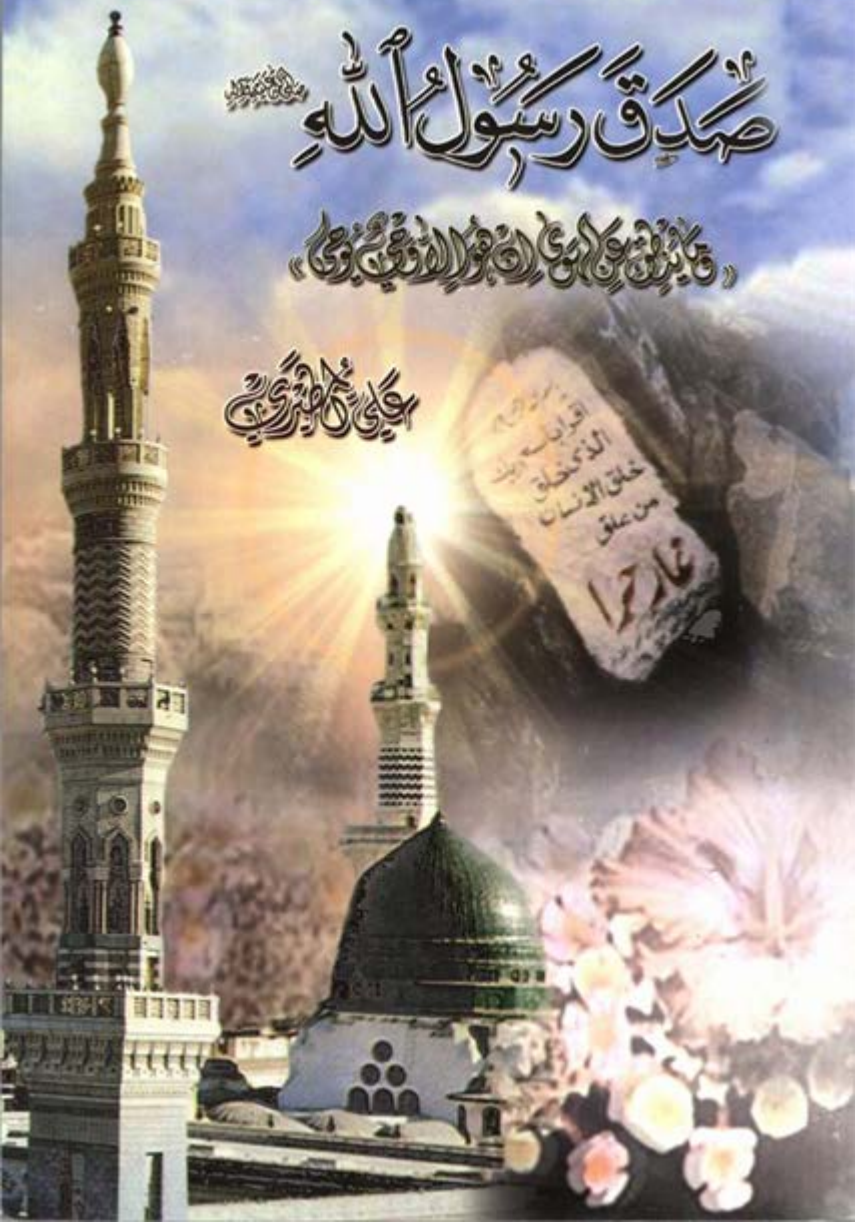
صَدِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ

قَرَابَتُكَ بِيَدِ
الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ

عَلَيْهِ السَّلَامُ



صدق رسول الله ﷺ

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾

علي المطيري

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطه بديل < mktba.net



اسم الكتاب: صدق رسول الله ﷺ

المؤلف: علي المطيري

الموضوع: تاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة: الاولى

التاريخ: ١٤٢٧ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ٣٠٠٠

شبابك: ٢-٩١-٨٦٨٦-٩٦٢

ISBN: 964-8686-91-2

مفروق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bayt.org

أَهْلَ الْبَيْتِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُزْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا

أَهْلَ الْبَيْتِ
فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ
كِتَابَ اللَّهِ وَعَنْتِي أَهْلَ بَيْتِي
مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا

كلمة المجمع

إن تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إشارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها. مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حریم الرسالة وحقائقها التي ضُتبت عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة. وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى

المطلوب في كل عصر.

إن التجارب التي تخزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلًا عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنتفع على الحقائق التي تقدمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الشيخ علي المطيري لتأليفه هذا الكتاب ولكل الأخوة الذين ساهموا في إخراجه.

وكلنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدمنا ما استطعنا من جهد أداءً
لبعض ما علينا تجاه رسالة ربنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونة الثقافية

مقدمة المؤلف

أطلتُ النظر وأجلتُ البصر لاختيار خبر أو أثر يجمع بين دلائل النبوة والإمامة مما رواه الخاصة والعامة.

فلمع لي من بين الأخبار كالشمس في رابعة النهار ما ثبت عن النبي المختار حديثٌ يتضمّن المعاجز والدلائل، يفرّق بين الحقّ والباطل، لمن خلع ثوب اللجاج والعناد وابتغى مرضاة رب العباد.

ألا وهو الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ في حقّ زوج البتول: «يا عليّ أنت تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

حديث تجلّني فيه حرص النبي على هذه الأمة واهتمامه بها وما يجري عليها، فأوضح ﷺ لهم الحقّ الحقيقي وبتين معالم الطريق، وعرفهم العدو من الصديق شأنه في ذلك كشأن الأنبياء الذين خلّوا بل هو أحرص فأنذر وأعذر وبشّر وحثّز وأفصح وفسّر.

وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا...﴾

فليس هناك في تقديم عليّ ﷺ على غيره مصالح ومنافع شخصية وعائلية وطائفية ابتغاها الرسول، فيرتكب ﷺ حيفاً وظلماً واجحافاً في حق الآخرين، كما قال بعضهم: «كرهنا أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم!» فهذا كلام من يجهل المقام الشامخ للرسالة والنبوة، أو يتجاهل وأنه ينظر الى النبي كما ينظر الى كسرى أو قيصر أو أحد ملوك الدنيا، وأن النبي يحب ويشتهي ويثار ويغضب لنفسه وكأنه ليس بحجة الله وخليفته والواسطة بين الحق والخلق، والحديث المزبور كما يحمل آهات وحسرات على تلك الطوائف أو الفرق التي ترددت في لمتاهات والظلمات، فإنه يحمل بشائر ومسرات ومعجز ودلالات سوف نقرأها معاً من خلال الروايات.

ثم إن الحديث عما جرى على الوصي الأمير صاحب بيعة الغدير، لحديث يعلو به الإسلام وينقشع به الغمام والأوهام، فتصبح الحقيقة ساطعة والقلوب السليمة خاشعة طائعة. ولهذا وذاك ترى النبي ﷺ نوه ولهج باسم عليّ من أول يوم، يوم الإنذار وإلى آخر يوم يوم الدار.

كل ذلك تمهيداً لقبول الحق وترويضاً للنفوس، فأبني أكثر الناس إلّا كفوراً، وصدق سبحانه حيث يقول: ﴿وأكثرهم للحق

كارهون»، وقوله المتكرر: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، وهذا هو شأن الأكثرية والغالبية فتراهم يتبعون: ﴿عجلاً جسداً له خوار﴾، لأنه يصيح ويعيط ويتركون موسى وهارون.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾، «فالتاس عبيد الدنيا والذين لعق على ألسنتهم» وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «والذي نفسي بيده لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل».

الدواعي

حفظاً لهذه الحقائق من أن تأتي عليها آفة عصرنا وزماننا، المسماة بالتحقيق والتعليق التي هدفها التمزيق والتشقيق والتفريق، فتبتلع وتقتلع ما حقه أن يسمو ويرتفع.

وإني إذا نظرت في كتب القوم فرأيتهم أتوا البيوت من ظهورها فأطنبوا وأسهبوا فيما ليس له صلة بالموضوع، وأوجزوا واختصروا وقطعوا وبتروا ما هو من صميم البحث.

فرايت جمعها مرتبة مهذبة في كتاب، كي يطلع عليها أولو الألباب ويصح فيها قول ربنا: ﴿هذا مغسل بارد وشراب﴾ .

فينهل منه الخواص والعوام، إذ ليس عليها برقع ولثام، بيّنة واضحة المقصد والمرام.

فهذه العلل والأسباب التي دعيتي الي تأليف الكلمات المنتشرة، ونظم اللثالي المنتشرة، ورض اللينات المبعثرة، فصار كالبنيان المرصوص المنمق بأجمل النصوص، والمزتين بأبهى الفصوص.

ترى الفتى ينكر فضل الفتى مادام حياً فإذا ما ذهب
 لَحَ به الحرصُ على نكتةٍ يكتبها عنه بسماء الذهب



«أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»^(١)

(الإمام علي عليه السلام)

إنَّ النبيَّ ﷺ باعْتباره حِجَّةَ الله على الناس وخليفته والذي يؤدي عن الخالق سبحانه وتعالى.

ما ترك أمراً من الأمور أو حدثاً من الأحداث المهمة التي تمر على المسلمين إلا بينها حتى تتم الحجة ولا يبقى عذر لمعتذر. فحذّره وأنذره وبشّره وأمره وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً* وداعياً إلى الله

(١) إنَّ اشتهاً هذا الحديث وثبوتُه عند المسلمين يغبينا عن سرد وذكر مصادره وطرقه.

ومن أراد الاطلاع على مصادر وطرق الحديث فليراجع الغدير ج ٢، ص ١٩٤ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢، ص ٣٩٨، فقد ذكر من مصادر وطرق القوم أبناء العامة والجماعة ما فيه الكفاية. ونحن قد ذكرنا بعض هذه الروايات في آخر كتابنا هذا تحت عنوان مصادر الحديث ص ١٤٨.

بإذنه وسراجاً منيراً^(١).

بشّرهم بحسن الثواب وأنذرهم سوء العقاب فكل ما كان أو هو كائن من الحوادث المهمة الصعبة التي يؤاخذ الله عليها، ولا بد من معرفة الحق فيها.

هناك حجة كافية وبيان وبرهان سواء في حياة النبي ﷺ، أو حين وفاته، أو بعد إرتحاله وانتقاله الى الرفيق الأعلى وحتى آخر حدث في هذه الدنيا.

بدأ بأول حدث أو فتنة وهي مسألة الإمامة والخلافة والوصية وآخر حدث سوف يحدث في هذه الأمة وهي قضية الإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

فترى العشرات بل المئات من الحجج والبراهين، التي توضح وتبين الحق في كل حدث وفتنة وابتلاء.

وهاهي كتب القوم أبناء العامة والجماعة ملئى فضلاً عن كتب الخاصة تنقل وتروي أخبار النبي ﷺ، بما سيواجه هذه الأمة وأنه ﷺ يبين جادة الصواب وسبيل النجاة والخلاص.

فما من حدث مصيري يتعلّق بمصير الأمة ومستقبلها إلا ونبيّ
الرحمة ﷺ يُعرّف أُمَّته سبيل الهدى والرشاد.

وفي جلّ إن لم نقل كلّ هذه الأخبار ظهرت دلائل نبوّته
وعظمته ومعجزه إذ صدّق الواقع أقواله في هذه الأحداث أو
الفتن.

فمن هذه الأخبار ما ذاع وشاع عنه ﷺ واشتهر ونقله كلّ
من كتب وصنّف في الأحاديث والتاريخ والسير فلم
يعد يخفى حتى على ربات الحجال فضلاً عن الرجال فهو
من الأخبار الشهيرة ومصادره كثيرة، حتى قال ابن أبي الحديد
المعتزلي بضرر قاطع: قد ثبت عن النبيّ ﷺ أنه قال لعلي: «تقاتل
بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»^(١).

فتمبيره وقوله ثبت عن النبيّ، أي ليس هناك شك وريب
وتزلزل؛ بل ثبوت ويقين.

ونحن نتعرّض لكلّ فرقة بإيجاز واختصار إذ الأمر في غاية
الاشتهار، فلا داعي إلى الإكثار، ولا يخفى ما في دراسة هذه
الأحداث من فوائد جمّة ودورس وعبر ومعجز ودلائل للنبيّ ﷺ

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ١٨٣.

والوصي ﷺ، ظهرت في هذه الملاحم والفتن.

أما الطائفة أو الفئة الأولى التي تصدني لها

أمير المؤمنين ﷺ فهم:

الناكثون

سمّاهم بذلك النبي ﷺ لأنهم نكثوا الأيمان والعهود والمواثيق، نكثوا بيعة أمير المؤمنين ع بعد توكيدها: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(١).

قادة هذه الفئة طلحة والزبير وعائشة، فالأحرى بنا وقبل كل شيء أن نتعرّف على هؤلاء الثلاثة.

طلحة

هو أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان من بني تيم بن مرّة أبوه ابن عمّ أبي بكر، وأمه الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أن تكون عند عبيدالله تحت أبي سفيان صخر بن حرب، فطلقها ثم تبعها نفسه فقال فيها شعراً أوله:

(١) النمل: ١٤.

وإتسي وصعبة فيما أرني بعيدان والودود قريب
وشلت بعض أصابعه يوم أحد^(١).

طلحة مع رسول الله ﷺ

هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾^(٢).

نزلت الآية لما قال طلحة: «أحجبنا محمد عن بنات عمنا،
ويتزوج نساءنا من بعدنا، فإن حدث به حدث لنزوجن نساءه من
بعده»^(٣). وقال: «إن مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة وهي بنت
عمي» فبلغ ذلك رسول الله فتأذى به فنزلت الآية^(٤).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩، ص ٥٦، من كلام
عليّ عليه السلام يخاطب به طلحة: «وأما أنت يا طلحة فقلت: إن مات محمد
لنركضن بين خلاخيل نسانه كما ركض بين خلاخيل نساننا»^(٥).

(١) ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٢٥، والروض الأنف: ٤٣/٣ المطبعة العلمية
بيروت وعيون الأخبار لابن قتيبة: ١٠١/٤.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ٢١٤/٥ مع اختلاف يسير.

(٤) راجع تفسير الآية عند القرطبي والألوسي وابن كثير وابن عثيمين والبخاري
وفيض القدير وطبقات ابن سعد: ٣٤٩/٨.

(٥) السيفة لأبي بكر الجوهري: ص ٨٨.

طلحة مع أبي بكر

ودخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال: إنّه بلغني أنك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم وأنت غداً لاق ربك فيسألك عن رعيتك! فقال أبو بكر: اجلسوني، ثم قال: أبا الله تخوفني! إذا لقيتُ ربِّي فسألني^(١) قلت استخلفت عليهم خير أهلك. فقال طلحة: أعمار خير الناس يا خليفة رسول الله! فاشتد غضبه، وقال: أي والله هو خيرهم وأنت شرهم. أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها اتيتني وقد دلكت عينك تريد أن تفتنني عن ديني وتزيلني عن رأيي قم لا أقام الله رجلك أما والله لئن عشت فواق ناقة وبلغني أنك غمصته فيها، أو ذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات قنة حيث كنتم تسقون ولا تروون وترعون ولا تشبعون وأنتم بذلك بجحون راضون، فقام طلحة فخرج^(٢).

(١) الطبري: ٤٣٣/٣، سنة ١٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦٥/١.

طلحة مع عمر

فمن كلام لعمر مع الستة من أصحاب الشورى جاء فيه أفلا أخبركم عن أنفسكم؟

ثم أقبل على طلحة - وكان له مبعضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر - فقال له أقول أم أسكت؟ قال: قل فإنك لا تقول من الخير شيئاً قال: أما أني أعرفك منذ أصيبت^(١) إصبعك يوم أحد وأثياً^(٢) الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: الكلمة المذكورة ان طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه الى رسول الله ﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فنكحهن.

قال أبو عثمان أيضاً: لو قال لعمر قائل، أنت قلت إن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة أنه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصة، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا^(٣).

(١) كنز العمال: ٢٩٢/٥ و ٢٩٤.

(٢) وأثياً: غاضباً.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١، ص ١٨٥.

طلحة مع عثمان

يقول ابن أبي الحديد: وكان طلحة من أشد الناس تعريضاً عليه، وكان الزبير دونه في ذلك^(١).

ويقول أيضاً في نفس الصفحة: وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بشوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام، ورووا أيضاً أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دارٍ لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه.

ويقول في ج ١٠، ص ٤: وقد كان طلحة اجهد نفسه في أمر عثمان^(٢) والإجلاب عليه والحصر له والاغراء به ومثته نفسه الخلافة بل تلبس بها وتسلم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقاتل الناس وأحدقوا به ولم يبق إلا أن يصفق بالخلافة على يده.

(١) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٥، والمقد الفريد: ج ٥، ص ٤٠، ٤٦، ٤٩، والطبري: ٣٧٩/٤ - ٤٠٥ / ٤٣١، والكامل: ١٧٤/٣، وتاريخ المدينة المنورة: ج ٤ / ١١٦٩ - ١١٩٧ - ١١٩٩ - ١٢٨٧.

(٢) ذكر بعض ذلك ابن الأثير الكامل: ١٧٤/٣، والمقد الفريد: ٤٠/٥، وكنز العمال: ٢٩٧/٥.

ويقول في ج ٩، ص ٣٥: روي أن عثمان قال: ويلى علي ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض عليّ اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه.

ويقول ابن أبي الحديد في ج ١، ص ١٦١: وقال أبو جعفر الطبري وكان لعثمان علي طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً، فقال طلحة له يوماً: قد تهيتاً مالك فاقبضه فقال: هو لك معونة علي مروءتك، فلما حُصر عثمان، قال علي ﷺ لطلحة^(١): «انشدك الله إلا كفت عن عثمان»، فقال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها، فكان علي ﷺ يقول: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل».

وعندما استنجد عثمان بعلي لما حوَّصر، جاء سلام الله عليه الى طلحة وقال: «يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟»، فقال: يا أبا الحسن أبعث ما مس الحزام الطبيين فانصرف علي ﷺ ولم يُحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادى: افتحوا الباب، فلم يقدرُوا على فتحه فقال: اكسروه، فقال: اخرجوا هذا المال، فجمعوا يخرجونه وهو يعطي الناس وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع علي ﷺ فجمعوا

(١) الطبري: ٥/٤، والكامل: ١٨٣/٣.

يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسرى بذلك ثم أقبل طلحة يمشي عامداً الى دار عثمان فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب إليه لقد رُمت أمراً حال الله بيني وبينه فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً^(١).

وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان: إن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام وأن علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم.

فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه، فأرسل علي عليه السلام الى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب^(٢).

(١) شرح النهج: ج ١٠، ص ٨، وتاريخ الطبري: ج ٤٣١/٤، وابن الأثير: ج ٣، ص ١٦٧.

(٢) شرح النهج: ج ١٠، ص ٦.

مروان يثأر لعثمان^(١)

وقال مروان بن الحكم يوم الجمل: والله لا أترك ثأري وأنا أراه
ولأقتلن طلحة بعثمان فإنه قتله. ثم رماه بسهم فأصاب مأبضه^(٢)
فنزف الدم حتى مات^(٣).

قال أبو مخنف: فأما طلحة فإن أهل الجمل لما تضعضوا قال
مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم
فأصاب ساقه فقطع أكحله فجعل الدم يبيض فاستدعى من مولى له
بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك أما من مكان أقدر فيه على
النزول فقد قتلني الدم فيقول له مولاه انج: وإلا لحقك القوم، فقال:
بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتى انتهى إلى
دار من دور البصرة فنزلها ومات بها^(٤).

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي
أخبرني أنه رمى طلحة فقتله ما تركت تيمناً إلا قتلته بعثمان^(٥).

(١) ابن الأثير: ج ٣، ص ٢٤٤، وابن سعد: ١١٩/٣.

(٢) المأبض: ما يثبت عليه الفخذ.

(٣) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٦، والمقد الفريد: ٧٠/٥، وطبقات ابن سعد:
١١٩/٣ و ٢٠/٥، والمسعودي: ٣٧٣/٢.

(٤) شرح النهج: ج ٩، ص ١١٣.

(٥) شرح النهج: ج ٩، ص ١١٤، وطبقات ابن سعد: ١١٩/٣ ط التراث
العربي بيروت.

الزبير

أبوه العوام بن خويلد شقيق خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها، أمه صفية بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، أحد الستة الذي رشّحهم عمر للشورى، وأحد العشرة كما يقولون، يكتى بابنه عبدالله.

ولابنه عبدالله الأثر الكبير في انحرافه عن أمير المؤمنين حتى قال رضي الله عنه: «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله»^(١).

كان في صحبة النبي الى أن انتقل صلى الله عليه وآله الى جوار ربّه وبعدها صحب الإمام علي رضي الله عنه، حتى أيام مقتل عثمان فانحرف بعد ذلك عنه وخرج مع طلحة وعائشة الى حربه يوم الجمل.

له مواقف شريفة قبل انحرافه عن علي رضي الله عنه منها:

وقوفه الى جنب الإمام رضي الله عنه يوم السقيفة حتى أنه شهر سيفه.

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٤٨: قال أبو بكر: وحدّثني

أبو زيد عمر بن شيبه عن رجاله قال: جاء عمر الى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال: والذي نفسي

(١) شرح النهج: ج ٢٠ / ٤٦١، والاستيعاب: ج ٢ / ٣٠٢.

بيده لتخرجنَ الى البيعة أو لأحرقنَ البيت عليكم، فخرج إليه الزبير مصلاً بالسيف فاعتقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره^(١). ومنها: تنازله عن حقه يوم الشورى لأمير المؤمنين عليه السلام، فكان من حقه أن يرشح نفسه وأن يصوت لمن يشاء.

رأي عمر فيه

«أما أنت يا زبير فوَعِقَ لِقَسِ مؤمن الرضا. كافر الغضب، يوماً إنسان و يوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدٍّ من شعير أفرأيت إن أفضت إليك! فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون لهم يوم تغضب، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة»^(٢).

(١) السيفة لأبي بكر الجوهري: ص ٥٠ / ٥١ / ٤٤ / ٦٠ / ٧١. وكنز العمال: ٢٣٩/٥.

(٢) شرح النهج: ج ١، ص ١٨٥، وكنز العمال: ج ٥، ص ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤. وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة: ٨٨٠/٣.

موقف الزبير من عثمان

يقول ابن أبي الحديد في ج ٩، ص ٣٦: ورووا أيضاً أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم فقالوا: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدء بابني؛ إنّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غدأ.

وفي نفس الجزء، ص ٣٥ يقول: وكان طلحة من أشدّ الناس تحريصاً عليه وكان الزبير دونه في ذلك. وفي العقد الفريد: ج ٥ / ٤٩ مثله.

تذكير وتحذير من قبل الأمير ﷺ

برز عليّ ﷺ يوم الجمل ونادى بالزبير: يا أبا عبد الله مراراً فخرج الزبير فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما فقال له عليّ ﷺ: «إنما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي رسول الله ﷺ: أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي فقال لك: أتجته قلت: وما لي لا أحبه وهو أخي وابن خالي فقال: أمّا إنك ستحاربه وأنت ظالم له». فاسترجع الزبير وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر ورجع الى صفوفه^(١).

(١) الطبري: ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والكامل: ٣/٢٤٠، والأغانى: ج ٨/ص ٥٩ /

٦٢، والمسمودي: ٣٧١/٢.

فقال له عبدالله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به! فقال: أذكركني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر فلا أحرابه أبداً وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبدالله: ما أراك إلا جبت عن سيوف بني عبدالمطلب أنها لسيوف جِداد تحملها فتية أنجاد، فقال الزبير: ويحك اتهتجني على حربيه أما إني قد حلفت ألا أحرابه.

قال: كفر عن يمينك لا تتحدّث نساء قريش إنك جبت وما كنت جباناً. فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني. ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر عليّ ﷺ برمح لا سنان له، فقال عليّ ﷺ: أفرجوا له فإنه مخرج، ثم عاد إلى أصحابه ثم حمل ثانية ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويحك ترى. فقال: لقد أعذرت.

لما أذكرك عليّ ﷺ الزبير بما أذكركه به ورجع الزبير وقال:
نادى عليّ بأمر لست أنكره

وكان عمر أبيك الخير منذ حين

فقلت حسبك من عدلٍ أبا حسنٍ

بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى مغبتها
 والله أمثل في الدنيا وفي الدين
 فاخترت عاراً على نارٍ مؤججة
 أنى يقوم لها خلقٌ من الطين^(١)

العاقبة والمصير

لما انصرف الزبير عن حرب عليؑ مرَّ بوادي السباع،
 والأحنف بن قيس هناك في جمع من بني تميم قد اعتزل
 الفريقين، فأخبر بمرور الزبير فقال رافعاً صوته: ما أصنع بالزبير
 لَفَّ غارين من المسلمين حتى أخذت السيوف منهما مأخذها
 انسلَّ وتركهم أما إنه لخليق بالقتل قتله الله.

فاتبعه عمرو بن جرموز وكان فاتكاً فلما قرب منه وقف
 الزبير وقال: ما شأنك؟ قال: جئت لأستلك عن أمر الناس. قال
 الزبير: إنني تركتهم قياماً في الركب يضرب بعضهم وجه بعض
 بالسيف، فسار ابن جرموز معه وكل واحد منهما يتقي الآخر.

(١) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣٤، وانطوري: ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والأغاني:

فلما حضرت الصلاة قال الزبير: يا هذا إنا نريد أن نصلي. فقال ابن جرموز وأنا أريد ذلك. فقال الزبير: فتؤمّني وأؤمّنك قال: نعم فثنى الزبير رجله وأخذ وضوءه، فلما قام الى الصلاة شدّ ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه وحثا عليه تراباً يسيراً ورجع الى الأحنف فأخبره.

فقال: والله ما أدري أسأت أم أحسنت أذهب الى عليّ ﷺ فأخبره فجاء الى عليّ ﷺ قال للأذن قل له عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه فأدخله. وفي كثير من الروايات انه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له: أنت قتله؟! قال: نعم. قال: والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً ولكن الحين ومصارع سوء.

ثم قال: ناولني سيفه ، فناوله فهزّه وقال: سيف طالما جلني به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ. فقال ابن جرموز الجائزة يا أمير المؤمنين فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» فخرج ابن جرموز خائباً وقال:

أتيت علياً برأس الزبير

أبغني به عنده الزلفه

فبشّر بالنار يوم الحساب
 فبئست بشارة ذي الشحفه
 فقلت له إن قتل الزبير
 لولا رضاك من الكلفه
 فإن ترض ذلك فمنك الرضا
 وإلا فدونك لي حلفه
 وربّ المحلّين والمحرّمين
 وربّ الجماعة والألفه
 لسيّان عندي قتل الزبير
 وضرطه عنزبذي الجحفه
 ثم خرج ابن جرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النهر فقتله معهم
 فيمن قتل ^(١) .

طلحة والزبير تحت المجهر

كل واحدٍ منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه لا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٣٦، والمقد الفريد: ٧١/٥،
والمعدي: ٣٧٢/٢.

يمتآن الى الله بحبل، ولا يمدآن إليه بسبب.

كل واحد منهما حاملٌ ضبٌ لصاحبه، وعمّا قليل يكشف قناعه به والله لئن أصابوا الذي يريدون لستنزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا^(١).

أقول: لهذه المشابهة والمماثلة والمشاكله بين نفسي الرجلين آخى النبي ﷺ بينهما كما آخى بين أبي بكر وعمر واختيار علياً عليه السلام لنفسه وهذا ما أشار إليه المحب الطبري في الرياض النضرة حيث قال: ومن أدل دليل على عظم منزلة عليّ من رسول الله ﷺ صنيعه في المؤاخاة فإنه ﷺ جعل يضم الشكل الى الشكل يؤلف بينهما الى أن آخى بين أبي بكر وعمر واذخر علياً لنفسه وخصه بذلك فيالها مفخرة وفضيلة^(٢).

أم المؤمنين عائشة

أبوها أبو بكر وأُمها أم رومان، تزوّجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بستتين بعد وفاة خديجة رضوان الله عليها بنت سبع سنين

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، خطبة ١٤٨، ج ٩، ص ١٠٩.

(٢) تجد هذه المؤاخاة في سيرة ابن هشام من الروض الأنف: ٣٣٧/٤، وكنز

العمال: ٧٢/٩، والمعار والموازنة: ٢٠٨.

وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع سنين وعشرة أشهر.
وتوفي رسول الله ﷺ عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، كما
في الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر: إن رسول الله ﷺ توفي عنها
وهي بنت ثمان عشرة سنة، فكان سنّها معه تسع سنين ولم ينكح
بكرًا غيرها، واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية فقال لها: اكنتي
بابنك عبد الله بن الزبير - يعني ابن ختها - فكانت كنيته أم عبد الله.
وتوفيت في سنة سبع وخمسين للهجرة وعمرها أربع وستون
سنة، ودفنت بالبقيع في ملك معاوية وصلى عليها المسلمون ليلاً
وأتمهم أبوهريرة وذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من
السنة المذكورة.

عائشة مع عثمان^(١)

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٥: قال كل من صنف في
السير والأخبار أنّ عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى
أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها

(١) السقيفة لأبي بكر الجوهري. ص ٨٠. والمعقد الفريد: ٥ / ٤٦، والسيرة
الحليّة: ٢٨٦/٣، وابن شبة في تاريخ المدينة: ٤ / ١١٧١ - ١١٧٤.

وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل
وعثمان قد أبلى سنته.

قالوا: أول من سمى عثمان نعتلاً عائشة والنعل الكثير شعر
اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً.

ويقول أيضاً في ص ٢١٦: قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي
في كتابه: وقد روي من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان
وهي بمكة قالت: أبعده الله ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد.
قال: وروي من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله
قتله ذنبه وأقاده الله بعمله يا معشر قريش! لا يسومنكم قتل
عثمان كما سأم أحمر ثمود قومه أن أحق الناس بهذا الأمر ذو
الإصبع^(١)، فلما جاءت الأخبار ببيعة علي^{عليه السلام} قالت: تعسوا تعسوا
لا يردون الأمر في تيم أبداً.

وفي تاريخ الطبري يقول عثمان لابن عباس: رأيت أن أوليك
أمر الموسم. وكتب معه الى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا
له بالحق متن حصره.

فخرج ابن عباس فمزم بعائشة في الصلصل، فقالت: يابن عباس

(١) ذو الإصبع: طنجة بن عبيد الله.

أشددك الله - فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً - أن تخذل عن هذا الرجل وان تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجرت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُم.

وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يل يسير بسيرة ابن عمه أبي بكر.

قالت: قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا الى صاحبنا.

فقالت: ايهاً عنك! إنني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^(١).

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد قال: حدثنا عمر قال: حدثني المدائني عن الواقصي، عن الزهري قال: خرج رهط من أهل الكوفة الى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلمنا غضب رجل على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم.

فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتها وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال: أما يجد فساق العراق ومراقها ملجأً إلا بيت عائشة.

فسمعت، فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنة

(١) الطبري: ٤/٤٠٧.

صاحب هذا النعل.

وتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فمن قائل: قد أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تخاصموا وتضاربوا بالنعال.

ودخل رهط من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحدود، واعزل أخاك عنهم، ففعل^(١).

أخطأت في الثالث

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة وكان محمد رجلاً عابداً فقال: أخبرني عن قتلة عثمان؟ فقال: نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث؛ ثلث على صاحبة اليهودج - يعني عائشة - ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - ، وثلث على علي بن أبي طالب .

فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال ولحق بعلي وقال في ذلك شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالكٍ بجوف المدينة لم يقبر

(١) الأغاى: ١٤٣/٥، وشرح النهج: ٢٣٢/١٧، والنقيفة: ١٢٢.

فقال ثلاثة رهطٍ همُّ أماتوا ابن عفان واستعبر
 فثلثُ على تلك التي في خدرها وثلثُ على راكب الأحمر
 وثلثُ على ابن أبي طالبٍ ونحن بدويّة قرقر
 فقلت صدقت على الأولين وأخطأت في الثالث الأزهر^(١)
 وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بأخذ
 ثأره من هؤلاء الثلاثة بقوله:

أين تذهبون وتتركون ثأركم على اعجاز الإبل ورائكم؟
 - يعني عائشة وطلحة والزبير - اقتلوهم ثم ارجعوا الى
 منازلكم^(٢).

وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال: يا أم المؤمنين والله
 لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون
 عرضة للسلاح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك
 وأبحت حرمتك! إنه من رأى قتالك يرى قتلك لئن كنت أتيتنا
 طائفة فارجعي الى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة
 فاستعيني بالناس.

(١) الطبري: ج ٤، ص ٤٨٢، من حوادث سنة (٣٦ هـ) وابن شبة في تاريخ
 المدينة: ١١٧٤/٤.

(٢) الطبري: ٤٥٣/٤، والكامل: ٢٠٩/٣.

وخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال: أما
 أنت يا زبير فحواري رسول الله ﷺ وأما أنت يا طلحة فوقيت
 رسول الله بيدك وأرى أمكما معكما فهل جثتما بنسائكما؟
 قال: لا قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل وقاتل في ذلك:
 صنتم حلائلكم وقدتم أمكم
 هذا لعمرك قلة الإنصاف
 أمرت بجر ذيولها في بيتها
 فهوت تشق اليد بالإيجاف
 غرضاً يقاتل دونها أبناؤها
 بالنبل والخطي والأسياف
 هتكت بطلحة والزبير ستورها
 هذا المخبر عنهم والكافي^(١)

عائشة مع أمير المؤمنين ﷺ

روى ابن سعد عن عائشة في خبر مرض رسول الله ﷺ أنها
 قالت لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه خرج وهو بين رجلين

(١) الطبري: ٤/٤٦٥، والكامل: ٣/٢١٤.

تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر قال المحدث عنها - وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - فأخبرت عبد الله بن عباس عما قالت عائشة فقال لي ابن عباس: هل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا. قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب. ثم قال: إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير^(١).

وذكره البخاري في صحيحه باب مرض النبي ووفاته، وحذف قول ابن عباس أن عائشة لا تطيب له نفساً بخير، أداءً للأمانة في النقل ولا يسمنا إلا الدعاء بأن يحشره الله مع أم المؤمنين عائشة فإنه من أبنائها البارزين.

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة: ج ٦، ص ١١٣ من مسنده عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت: أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأما عمار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: لا يُعتبر بين اثنين أمرين إلا اختار أشدهما.

(١) الطبقات الكبرى: ٢/٣٥٩، ٣٦٥. وتاريخ الطبري: ٣/١٨٩، والروض

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٥: وقال أبو مخنف لوط ابن يحيى الأزدي في كتابه: إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك أما أنهم وجدوا طلحة لها كفواً فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد ابن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم دارت بهم الأمور إلى خير محاور بايعوا علياً فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ويحك أنظر ما تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردت عليه جواباً.

وفي تاريخ الطبري فقال لها:

فمنك البداء ومنك الغيّر	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إته قد كفر
فهبنا أطعنك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السق من فوقنا	ولم تنكشف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرأ	يزيل الشبا ويقيم الصعر

ويلبس للحرب وأثوابها وما من وفي مثل من قد غدر
فانصرفت الى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر
فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قُتل
مظلوماً، والله لأطلبن بدمه^(١).

غناء وضرب بالدفوف

ولما نزل عليّ ﷺ ذا قار، كتبت عائشة الى حفصة بنت عمر:
«أما بعد فإني أخبرك أنّ علياً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً
لما بلغه من عدتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدم عُقر وإن
تأخر نحر».

فدعت حفصة جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف
فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر ما الخبر عليّ في السفر
كالفرس الأشقر إن تقدم عُقر

وإن تأخر نحر

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٥٩، وابن الأثير في الكامل: ٢٠٦/٣.

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء فبلغ أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل ^(١).

فقالت حفصة: كفي رحمك الله وأمرت بالكتاب فمُرِّق واستغفرت الله، قال أبو مخنف: روى هذا جرير بن يزيد عن الحكم ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري وذكر الواقدي مثل ذلك وذكر المدائني أيضاً مثله قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار:

عذرنا الرجال بحرب الرجال فما للنساء وما للشباب
أما حسبنا ما أتينا به لك الخير من هتك ذلك الحجاب
ومخرجها اليوم من بيتها يعرفها الذنب نبح الكلاب
إلى أن أتانا كتاب لها مشؤم فيا قبح ذلك الكتاب ^(٢)

(١) إشارة إلى الآيات (٢ - ٥) من سورة التحريم.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ١٣.

سجدة الشكر

روى أبو الفرج الاصفهاني في مقتل الإمام علي عليه السلام في كتابه
(مقاتل الطالبين):

«لَمَّا أَنْ جَاءَ عَائِشَةُ قَتَلَ الْإِمَامَ عَلِيَّ سَجَدَتْ» أَي سَجَدَتْ
شُكْرًا لِلَّهِ.

وروى الطبري^(١) وأبو الفرج وابن سعد وابن الأثير قالوا: لَمَّا
أَتَى عَائِشَةُ نَعِيَّ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَتْ:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى

كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ

ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ قَتَلَهُ؟ فَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ مَرَادِ فَقَالَتْ:

فَإِنْ يَكُ نَائِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ غَلَامٌ لَيْسَ فِيهِ التَّرَابُ

فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلْمَةَ: أَلْعَلِّي تَقُولِينَ هَذَا؟ فَقَالَتْ: إِذَا

نَسِيتُ فذَكُرُونِي. ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدَّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذُرُونَ﴾^(٢).

(١) الطبري: ١٥٠/٥، والكمال: ٣٩٤/٣، والطبقات: ٢٣/٣، والموفقيات:

ابتداء الغدر والنكث

لما بويع عليّ ﷺ كتب الى معاوية:

«أما بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع؛ فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إليّ أشرف أهل الشام قبلك». فلما قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه بعث رجلاً من بني عُميس وكتب معه كتاباً الى الزبير بن العوام وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أمّا بعد فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فأظهرها الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجِد والتشمير أظفر كما الله وخذل مناوئكما».

فلما وصل هذا الكتاب الى الزبير سرّ به وأعلم به طلحة وأقرأه إياه فلم يشكّ في التصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ ﷺ .

جاء الزبير وطلحة الى عليؑ بعد البيعة بأيام فقالا له:
يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان
كلها، وعلمت رأي عثمان، كان في بني أمية، وقد ولّك الله الخلافة
من بعده فولّنا بعض أعمالك. فقال لهما: «ارضيا بقسم الله لكما حتى
أرى رأيي واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من
أصحابي ومن قد عرفت دخيلته».

فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس^(١).

دخل الزبير وطلحة على عليؑ فاستأذناه في العمرة، فقال:
«ما العمرة تريدان، فحلفا له بالله أنهما لا يريدان غير العمرة. فقال
لهما: ما العمرة تريدان، وأما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما
الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة. قال
لهما: فأعيدا البيعة لي ثانية، فأعادها البيعة لي ثانية فأعادها بأشد ما
يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما».

فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: «والله لا ترونها إلا في
فتنة يقتلان فيها» قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك؟ قال:
ليقض الله أمراً كان مفعولاً.

(١) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣١.

لَمَّا خَرَجَ الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يَلْقِيَا أَحَدًا إِلَّا وَقَالَا لَهُ: لَيْسَ لِعَلِيٍّ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ، وَإِنَّمَا بَايَعْنَاهُ مَكْرَهَيْنِ، فَبَلَغَ عَلِيًّا عليه السلام قَوْلَهُمَا فَقَالَ: «أُبْعِدُهُمَا اللَّهُ وَأَغْرِبَ دَارَهُمَا أَمَا وَاللَّهِ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا سَيَقْتُلَانِ أَنْفُسَهُمَا أَخْبِثَ مَقْتَلٌ، وَيَأْتِيَانِ مَنْ وَرَدَا عَلَيْهِ بِأَشْأَمِ يَوْمٍ، وَاللَّهُ مَا الْعَمْرَةَ يَرِيدَانِ، وَلَقَدْ أَتَيْتَنِي بِوَجْهِي فَاجْرِيْنَ وَرَجَعَا بِوَجْهِي غَادِرِيْنَ نَاكِثِيْنَ. وَاللَّهُ لَا يَلْقِيَانِي بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي كِتَابَةِ خُسْنَاءَ يَقْتُلَانِ فِيهَا أَنْفُسَهُمَا فَبَعْدًا لَهُمَا وَحَقًّا»^(١١).

وتحرّك الناكثون

كتب طلحة والزبير الى عائشة وهي بمكة كتاباً: ان خذلي الناس عن بيعه عليّ واطهري الطلب بدم عثمان وحملاً الكتاب مع ابن أختها عبدالله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت واطهرت الطلب دم عثمان وكانت أم سلمى رضي الله عنها بمكة في ذلك العام، قال أبو مخنف: جاءت عائشة الى أم سلمة تُخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك وكان

(١١) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣٢.

جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك فقالت أم سلمة: لأمرٍ ما قلت هذه المقالة. فقالت عائشة: إنَّ عبد الله أخبرني أنَّ القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عازمت علي الخروج الى البصرة ومعى الزبير وطلحة، فاخرجي معنا، لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

قالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ أفأذكري. قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل ﷺ ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلت: أتني هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي. فأقبل رسول الله ﷺ علي وهو غضبان محمر الوجه فقال: «ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان». فرجعت نادمة ساقطة. قالت عائشة: نعم أذكر ذلك. قالت: واذكري أيضاً، كنت أنا

وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال ﷺ: «بأليت شعري أبتكن صاحبة الجمل الأذنّب تنبجها كلاب الحوآب فتكون ناكبة عن الصراط» فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. ثم ضرب على ظهره وقال: «إياك أن تكونيها» ثم قال: «يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء» أما أنا فقد انذرتك. قالت: عائشة نعم أذكر هذا.

قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ له وكان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد.

ثم قالوا: يا رسول الله إنا لا ندرى قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفرعاً فقال لهما: «أما أنتي قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران».

فسكتنا ثم خرجنا فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له، وكنت أجراً عليه منا: من كنت يا رسول الله مُستخلفاً عليهم؟ فقال ﷺ:

خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا علياً فقال: هو ذاك، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

فقلت: فأبي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله. فقالت: أنتِ ورأيك فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي عليه السلام (١).

شتان ما بين الموقفين

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٩: وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل: إن أم سلمة كتبت إلى علي عليه السلام من مكة: أما بعد، فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبدالله بن عامر بن كُريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانها الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أَدع الخروج إليك والنصرة لك ولكتي باعثة نحوك

(١) شرح النهج: ج ٦، ص ٢١٦ - ٢١٨، والمعيار الموازنة: ٢٧ - ٢٩.

ابني عَدْل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوصي به خيراً^(١١) .

لما عازمت عائشة على الخروج الى البصرة طلبوا لها بعيراً أيداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرياً وكان عظيم الخلق شديداً فلما رآته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في أثناء كلامه: «عسكر» فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سُئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه فأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فعُتِرَ بجلالٍ غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدَّ قوّةً وأتيت به فرضيت!! ثم قال ابن أبي الحديد: قال أبو مخنف: وأرسلت الى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت وحطّت الرحال بعدما همّت^(١٢) .

حفصة وعائشة نضال مشترك

أسر النبي ﷺ حديثاً لأُمّ المؤمنين حفصة بنت عمر وبحكم

(١١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٦، المعيار والموازنة: ٣٠.

(١٢) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، والطبري: ٤/٤٥٤.

العلاقة الزوجية والثقة المتبادلة وأنها شريكة الحياة والهموم ما كان يخطر على باله أنّها تفتشي وتكشف عن سرّه وأن من عادات العرب حفظ الأسرار ولو أدّى الى الأضرار، لكن أم المؤمنين حفصة سارعت الى أم المؤمنين عائشة، واخبرتها بما قال الرسول وهكذا انتشر وظهر ما أسرّه سيّد البشر فنزلت الآيات في شأن هذه القضية تقول: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مِنْ أَنْبَأِكِ هَذَا قَالَتْ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَضَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (١).

فكلّها تهديد ووعد وإنكار شديد وكلام غليظ وما هو إلاّ تعبير عمّا في نفس رسول الله من لوعة وألم بسبب إفضاء السرّ .
فنرى الموقف الموحد والنضال المشترك المعبر عنه في الآية بالتظاهر، فعلى هذا لا يصحّ خبر، أو أثر ومن السذاجة والبلادة أن ينقل الناقل أن يقول القائل أنّ رسول الله كان يميل الى عائشة أو أنّ عائشة قالت : أني أحبّ نساءه إليه لا سيّما على قول القائل حسبنا كتاب الله فهذا النقل أو القول لا ينسجم مع

هذه الآيات.

ثم أن الطبيعة البشرية تقضي بذلك فإن الرجل يفر وينفر من هكذا زوجة هي مصدر قلقه وانزعاجه فما يروى من مدح وثناء واطراء يذوب وينصهر أمام آيات الله الحميد، ولو كان من صخر وحديد فكيف إذا كان كفضل الثريد.

كلاب الحوآب

يقول ابن أبي الحديد في ج ٩، ص ٣١٠: وروى أبو مخنف قال: حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس ابن أبي حازم. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وروى حرين بن يزيد عن عامر الشعبي وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً:

لَمَّا خَرَجْتَ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ طَرَقَتْ مَاءَ الْحَوَّابِ وَهُوَ مَاءُ لَبْنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَنَبَحْتَهُمُ الْكِلَابُ فَنفَرْتُ صَعَابَ إِبْلِهِمْ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: لعن الله الحوآب فما أكثر كلابها فلَمَّا سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟^(١) قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها ما

(١) الطبري: ٤/٥٧، والكامل: ٣/٢١٠، وكنز العمال: ١١/١٥٠.

بدا لها فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بكلاب ماء يدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حميراء أن تكونيها». فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله فإننا قد جُزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة، فقالت: اعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوآب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلاً لهم جُعللاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوآب فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام^(١).



ثم قال ابن أبي الحديد في ص ٣١١: قال أبو مخنف: وحدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الزبير وطلحة أَعْدَا^(٢) السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة وكتبوا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل عليّ عليه السلام على البصرة: أن أخل لنا دار الإمارة. فلما وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس، فقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله، والناس إليها

(١) المسعودي: ٣٦٧/٢، والحليّة: ٢٨٦/٣، والمحاسن للبيهقي: ٤٣.

(٢) الأغذاذ: الاسراع.

سراع كما ترى.

فقال الأحنف: إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين
آلبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه... وأشار على ابن حنيف
بالتأهب والنهوض.

فقال ابن حنيف: الرأي ما رأيت. لكنني أكره الشر وأن أبدأهم
به، وأرجوا العافية والسلامة الى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين
ورأيه فأعمل به.

قال: وكتب عليّ الى عثمان بن حنيف لَمَّا بلغه مشاركة القوم
البصرة:

«من عبدالله عليّ أمير المؤمنين الى عثمان بن حنيف: أما بعد فإن البغاة
عاهدوا الله ثم نكثوا ونوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى
الله به والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً فإذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة
والرجوع الى الوفاء بالمعهد والميثاق الذي فارقوا عليه فإن أجابوا فأحسن
جوارهم ماداموا عندك وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم
القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين».

فلَمَّا وصل كتاب عليّ ﷺ الى عثمان أرسل الى أبي الأسود
الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتى

يأتيه بعلم القوم وما الذي أقدمهم فانطلقا حتى أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم فدخلا على عائشة فنالاها ووعظاها وأذكراها ونشداها الله فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس الى أن يردوا أمر الخلافة شورى فقالا له أن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وآنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم.

وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً، طائعين غير مكرهين وأنت يا أبا عبدالله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت أخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه وامتنعت من بيعه أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول.

فقال لهما: اذهبا فلقيا طلحة فقاما الى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرار نار الحرب فانصرفا الى ابن حنيف فأخبراه وقال له أبو الأسود:

يا ابن حنيف قد أتيت فأنفر وطاعن القوم وجالد واصبر وأبرز لها مستلثماً وشتر

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلن وأرم مناديه فنأدى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا إليه^(١).

قال: وأقبل القوم فلما انتهوا الى المربرد قام رجل من بني جشم فقال: أيها الناس أنا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، وإن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولي قتله فاطيعوني، أيها الناس ردوهم من حيث أقبلوا، فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر. فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك.

واجتمع أهل البصرة الى المربرد حتى ملأوه مشاةً وركباناً فقام طلحة فأشار الى الناس بالسكوت ليخطب، فسكتوا بعد جهده. فكانت خطبته مدحاً وثناءً واطراءً على عثمان بن عفان وانه قتل مظلوماً وجثنا نطلب بدمه.

ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة. فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً

(١) شرح النهج: ج ٩، ص ٣١٣ وفي العقد الفريد: ج ٥، ص ٦٣ - ٧٩ ذكر نبذاً من يوم الجمل.

فيمن بايعه، فميم بايعتما ثم نكثتما؟ فقالوا: ما بايعناه وما لأحدٍ في
أعناقنا بيعة، وإنما استكرهنا على بيعته.

ثم اقبلت عائشة على جملها، فنادت بصوت مرتفع: أيتها
الناس! أقلوا الكلام واسكتوا، فاسكت الناس لها، فتكلمت بمثل ما
تكلم به طلحة والزبير في شأن عثمان وجاء في آخر كلامها:

ألا إنَّ عثمان قتل مظلوماً، فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم
فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ولا يدخل فيهم من شرك في دم
عثمان.

فهاج الناس واختلطوا، فمن قائل القول ما قالت ومن قائل
يقول: ماهي وهذا الأمر؟ إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها،
وارتفعت الأصوات، وكثر اللفظ، حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا
بالحصى.

ثم إنَّ الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن
حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها^(١).

(١) شرح النهج: ٩، ص ٣١٤-٣١٦، والكامل: ج ٣/ ٢١١-٢١٣، والطبري:

قال أبو مخنف: فلما أقبل طلحة والزبير من المربرد يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح.

فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك. ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا الى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها ملياً حتى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الربوقة^(١) ثم أتوا سبخة دار الرزق، فنزلوها وأتاها عبد الله بن حكيم التميمي لما نزل السبخة بكتبٍ كانا كتبها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا قال: بلى. قال: فكتبت أمس تدعونا الى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتله أتيتنا ثائراً بدمه فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا، مهلاً.

إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة، فبايعته طائعاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فنتك.

(١) في النسخة: الزابوقة.

فقال: إن علياً دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتم لي، ثم يغري بي من معه^(١).

ثم أصبحا من غدٍ، فصفاً للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً عليه السلام فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم...

الى أن قال: وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما فشتماه شتماً قبيحاً، وذكر أمه.

فقال للزبير: أما والله لولا صفيّة ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك الى الظل، وأن الأمر بيني وبينك يابن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما. اللهم إني قد أعذرت الى هذين الرجلين.

ثم حمل عليهم، واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة

(١) شرح النهج: ٩، ص ٣١٦.

والزبير ومن معهما....

وجاء في آخره: وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه، من عهد وذمة.

وختم الكتاب: ورجع ابن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم، فمشكوا كذلك أيتاماً. ثم إن طلحة والزبير قالوا: إن قدم علي ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعاً على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلنا الى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعونهم الى الطلب بدم عثمان، وخلع علي واخراج ابن حنيف من البصرة. فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة.

خرجوا للإصلاح

فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع، وظهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة، فتقدم عثمان

ليصلي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير فجاءت السبابة - وهم الشرط حرس بيت المال - فأخرجوا الزبير. وقدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير، فقدموا الزبير وأخرجوا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلّى بالناس، فلما انصرف من صلاته، صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه، بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما فلما أُسر ضرب ضرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكلّ شعرة في رأسه ووجهه وأخذوا السبابة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة.

فقال لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى ابن حنيف: يا عائشة، ويا طلحة ويا زبير، إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة وأقسم بالله إن قلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهلكم ورهطكم، فلا يُبقي أحداً منكم.

فكفوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم

بالمدينة فتركوه^(١).

وأرسلت عائشة الى الزبير أن أقتل السباجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال: ذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، ولي ذلك منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين.

فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير، قال: كانت السباجة القتلى يومئذٍ أربع مائة رجل.

قال: وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر في الإسلام وكان السباجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً. قال: وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي، فاختر الرحيل فخلوا سبيله، فلحق بعلي عليه السلام فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرداً. فقال علي عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون. قالها ثلاثاً^(٢).

(١) الكامل لابن الأثير: ٣/٢١٥.

(٢) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٢٠ - ٣٢١، والمعتمد: ٢/٣٦٧، والكامل:

٣/٢١٦، ٢٢٦، وتاريخ الطبري: ٤/٤٦٩، ٤٨٠.

يوم الجمل الأصغر

فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنازلاً، فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل، فسُمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم علي عليه السلام يوم الجمل الأكبر.

وتجالد الفريقان بالسيوف، فشد رجل من الأزدي من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدي عن فرسه، فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دب إليه فقتله متكئاً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه فمرّ بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه، وقال: من فعل بك؟ قال: وسادتي فنظر فإذا الأزدي تحته، وكان حكيم شجاعاً مذكوراً.

قال: وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل.

فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرده ابن حنيف اختلفاً في الصلاة وأراد كل منهما أن يؤمّ بالناس وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدمه. فأصلحت بينهما عائشة، بأن جعلت عبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة يصليان بالناس، هذا يوماً وهذا يوماً^(١).

(١) شرح النهج: ص ٣٢٢، والمعهودي: ٣٦٧/٢.

رسالة من أم إلى ابنها

لما نزل عليّ ﷺ بالبصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان^(١).

أما بعد فأقم في بيتك وخذّل الناس عن عليّ وليلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر: أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت ما أمرني الله به، فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام^(٢).

الأمر أمرها

وروى الشعبي عن مسلم بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر، قال: لما أقدم طلحة والزبير البصرة تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما،

(١) الطبري: ٤٧٦/٤، والكامل: ٢١٦/٣.

(٢) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٦-٢٢٧، والعقد الفريد: ٦٧/٥.

فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله ﷺ : «لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة». فانصرفت واعتزلتهم.

يقول ابن أبي الحديد وقد روى هذا الخبر على صورة أخرى: «إن قوماً يخرجون بعدي في فتنة، رأسها امرأة. لا يفلحون أبداً»^(١).

أعذر من أنذر

لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي رضي الله عنه لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بهم ولا يظمن أحدكم فيهم برمح، حتى أحدث إليكم وحتى أحدث إليكم وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل.

فرمى أصحاب الجمل عسكر علي رضي الله عنه بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضج إليه أصحابه، وقالوا: عرقتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وأنه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: اعذروا إلى القوم. فأتي برجل آخر فقيل: وهذا قد قُتل فقال: اللهم اشهد أعذروا إلى القوم. ثم أقبل عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ يحمل

(١) شرح النهج: ص ٢٢٧.

أخاه عبدالرحمن بن بُدَيْل، قد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي عليٍّ وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخي قد قُتِل.

فعند ذلك استرجع عليٌّ ودعا بدرع رسول الله ﷺ ذات الفضول فلبسها فتدلت بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله، فحزَم وسطه بعمامة، وتقلد ذا الفقار ودفَع الى ابنه محمَّد راية رسول الله ﷺ السوداء، وتعرف بالعُقاب.

وقال للحسن والحسين ﷺ إنَّما دفعت الراية الى أخيكما، وتركتكما لمكانكما من رسول الله ﷺ (١).

مسلم اسم علي مسمي

قال أبو مخنف: وطاف عليٌّ ﷺ على أصحابه وهو يقرأ: **هُأَم** حسبم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلَّوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب ﴿٢﴾.

ثم قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزَّ لنا ولكم النصر، وكان لنا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف: ج ٩ ص ١١١.

(٢) البقرة: ٢١٤.

ولكم ظهيراً في كل أمر.

ثم رفع مصحفاً بيده فقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه، وله الجنة، فقام غلام اسمه مسلم عليه قباء أبيض، فقال: أنا آخذه، فنظر إليه عليٌّ عليه السلام وقال: يا فتى إن أخذته، فإن يدك اليمنى تقطع، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع، ثم تضرب بالسيف حتى تقتل، فقال: لا صبر لي على ذلك.

فنادى عليٌّ ثانية: فقام الغلام، وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مراراً، حتى قال الغلام: أنا آخذه، وهذا الذي ذكرت في الله قليل.

فأخذه وانطلق، فلما خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى، فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسياقهم، حتى قتل. فقالت أم ذريح العبدية في ذلك:

يا رب إن مسلماً أتاهم بمصحفٍ أرسله مولاهم
للمعدل والإيمان قد دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ظباهم^(١) وأثمهم واقفة تراهم
تأمرهم بالغلي لا تنهاهم^(٢)

(١) ظباهم: سيوفهم.

(٢) الطبري: ٥١١/٤، ٥٢٩، والمسعودي: ٣٧٠/٢، وانكامل: ٢٦٢/٣.

فعند ذلك أمر عليّ ﷺ ولده محمداً أن يحمل الراية، فحمل وحمل معه الناس، واستحر القتل في الفريقين وقامت الحرب على ساق^(١).

وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرياً في هودج، قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر، ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد^(٢).

وأخذت عائشة كفاً من حصي، فحصبته به أصحاب عليّ ﷺ وصاحت بأعلى صوتها: شأهت الوجوه كما صنع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فقال لها قائل: وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى.

وزحف عليّ ﷺ نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه: حسن وحسين ومحمد ﷺ ودفع الراية إلى محمد، وقال: أقدم بها حتى تركها في عين الجمل، ولا تقفنّ دونه.

فتقدم محمد فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفذ سهامهم، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان فأنفذ إليه عليّ ﷺ

(١) تاريخ الطبري: ١١٢/٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٦، ص ٢٢٧، وتاريخ الطبري: ٥٠٧/٤.

والمسعودي: ٣٧٠/٢.

يستحبه ويأمره بالمناجزة، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن، وقال له: أقدام لا أم لك. فكان محمد ﷺ إذا ذكر ذلك يبكي ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفائي، والله لا أنسى أبداً.

ثم أدركت علياً رقة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمين يديه ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب أحداً منهم، ولا رد إليهم بصره وظل ينحط ويزار زئير الأسد، حتى فرق من حوله. وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يرد جواراً.

ثم دفع الراية الى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عند يمينه ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فأعصوب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسك ونحن نكفيك فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله

والدار الآخرة.

ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يابن الحنفية. فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين^(١).

قال أبو مخنف: وحدثنا مسلم الأعور عن حبة العرنبي قال: فلما رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل وأنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحز القتلى في بني ضبة فقتل مهم مقتلة عظيمة وخلص علي عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير، فضرب عجز الجمل بسيفه فوق لجنبه، وضرب بجرائه الأرض وعج عجيجاً لم يسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب.

واحتملت عائشة بهودجها، فحملت إلى دار عبدالله بن خلف، وأمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال: لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثم قرأ: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٥٧/١.

عاكفاً لحرقته ثم لتسفته في اليم نفاقاً» (٢٧١).

بعث عليّ ﷺ عبدالله بن عباس الى عائشة يأمرها بالرحيل الى المدينة، قال: فأتيتها فدخلت عليها، فلم يوضع لي شيئاً أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها، فقعدت عليها.

فقال: يا بن عباس، اخطأت السنة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا! فقلت: ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقر في فيه، ولو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلا بإذنك ثم قلت: إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل الى المدينة (٢٧٢).

يقول ابن أبي الحديد في ج ١٧، ص ٢٥٤: والذي جرى لها كان خطأ منها، فأى ذنب لأمر المؤمنين ﷺ في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبذل بين الأعراب وأهل الكوفة، على أن أمير المؤمنين ﷺ أكرمها وصانها وعظم من شأنها، ومن أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة.

ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، وشقت عصا الأمة عليه ثم

(١) طه: ٩٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦٦/١.

(٣) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٩ باختصار. المقد الفرید: ٧٦/٥ ط العلمية.

بيروت. والمعودي: ٣٧٧/٢.

ظفر بها لقتلها ومزقها إرباً إرباً ولكن علينا كان حليماً كريماً.
يقول ابن أبي الحديد: اتفقت الرواة كلها على أنه لا قبض
ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع
وعروض، قسمه بين أصحابه وأنهم قالوا له: أقسم بيننا؛ أهل البصرة
نجعلهم رقيقاً فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دمائهم وتحرم علينا
سبيهم.

فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام أما ما
أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت
الدور واغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ولا نصيب لكم في شيء
منه فلما أكثروا عليه قال: فأقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من تصيبه
القرعة، فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا^(١).

عن حذيفة قال: لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم لتصدقوني؟
قال: أوحق ذلك؟ قال: حق^(٢).

وقال: أرايتكم لو حدثتكم أن أمكم تخرج في فرقة من
المسلمين وتقاتلكم صدقتموني؟ قالوا: سبحان الله! ويكون
هذا^(٣).

(١) شرح النهج: ١/ ٢٥٠. وكنز العمال: ١١/ ١٥٠.

(٢) كنز العمال: ١١/ ١٥٤ / ٣١٦٦٣.

(٣) كنز العمال: ١١/ ١٥٤ / ٣١٦٩٠.

وفي الطبري عن أبي رجاء قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أذنه، قلت: أخلقة أم شيء أصابك؟ قال: أحدثك بينا أنا أمشي بين القتلى يوم الجمل فإذا رجل يفحص برجله وهو يقول:
لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم ننصرف إلا ونحن رواء
أطعنا قريشاً ضلّةً من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناء
قلت: يا عبدالله قل: لا إله إلا الله، قال: ادن مني ولقني فإن في أذني وقرأ فدنوت منه فقال لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من الكوفة فوثب عليّ فاصطلم أذني كما ترى، ثم قال: إذا لقيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا^(١).

يقول ابن أبي الحديد: وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عثمهنّ بالعمائم وقلدهنّ بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنا نحن نسوة^(٢).

(١) الطبري: ٥٢٤/٤، والمسعودي: ٣٧٩/٢، والكامل: ٢٥٢/٣.

(٢) شرح النهج: ٢٣/١، والمسعودي: ٣٧٩/٢، والعقد الفريد: ٧٦/٥.

والطبري: ٥١٠/٤.

كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره

قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر عليّ ﷺ يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غزّي غيري... مراراً.

ثم نظر الى المال وصعد فيه بصره وصوب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسّم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً^(١).

الإيثار

حبة العرني: قسّم عليّ بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي فاعطني من الفيء شيئاً فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ولم يصب من الفيء شيئاً^(٢).

(١) شرح النهج: ٢٤/١، وتاريخ الطبري: ٥٤١/٤، والمسعودي: ٣٨٠/٢.

(٢) شرح النهج: ٢٥٠/١، والمسعودي: ٣٨٠/٢.

من خطبة لعليّ في قادة الجمل

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله ﷺ كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزوا حبس رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما في جيش ما منهم إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبورا وطائفة غدرا^(١).

صدق رسول الله ﷺ

قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان^(٢).
وفي صحيح مسلم: خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: رأس الفتنة الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

الى هنا ننهي الكلام بفضل الملك العلام حول الناكثين لبيعة الإمام أصحاب الجمل الذين قادهم الهوى والأمل ورجعوا بالخبيثة والفشل ثم يأتي الحديث عن الطائفة الثانية التي قادها معاوية

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٧٢.

(٢) البخاري: في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي.

وعمرو فأورداها النار الحامية - أعني القاسطين - كما سمّاهم
سيّد المرسلين عليه صلوات المصلين وعلى آله الطاهرين
والحمد لله رب العالمين.

القاسطون

كما سماهم رسول الله ﷺ وهو بمعنى الجور والعدول عن الحق ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وكذلك سماهم ﷺ الفئة الباغية لأنها بغت على الإمام ﷺ واعتدت وتعذت وسميت فيما بعد وقعة صفين أو معركة صفين.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: ج ١، ص ٢٠١، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين وسماهم رسول الله ﷺ القاسطين وأشرنا نحن بقولنا سماهم رسول الله القاسطين الى قوله: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه لأنه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجملة الى أن يقول:

وأما أصحاب صفين فإتهم عند أصحابنا مخلدون في النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ .

الدعوة الى البيعة والطاعة

بعد وقعة الجمل رجع أمير المؤمنين الى الكوفة وأرسل عدّة كتب ورسائل الى معاوية يدعوه بها الى الطاعة والبيعة لكن معاوية أبى واستكبر وطفنّى وتجبّر واستنفر أهل الشام ودعاهم الى نفسه والى الطلب بدم عثمان وأرسل الكتب بذلك يذكر فيها مظلومية عثمان وآته صاحب ثأره ودمه.

فكان ممّا أجاب به أمير المؤمنين كما في شرح النهج: ج ٣، ص ٧٦: «قد أكثر في قتل عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هوائك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان.

واعلم إنك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك والى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوّة إلا بالله».

فلما قرأ معاوية الكتاب قال لجرير بن عبد الله: انظر وتنظر واستطلع رأي أهل الشام.

فمضت أيام فأمر معاوية منادياً ينادي: الصلاة جامعة فلما

اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فيهم الى أن قال:
 أيها الناس قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب، وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم وأني لم
 أقم رجلاً منكم على خزاية قط وأني وليُّ عثمان وقد قتل مظلوماً
 والله تعالى يقول: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليتيه سلطاناً﴾ وأنا أحب
 أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا الى الطلب بدم عثمان
 وببيعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم
 وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله^(١).

شراء الدين والضمان

وذهبت بمعاوية أفكاره كل مذهب وطاول جريراً بالجواب
 عن الكتاب حتى كَلَمَ قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان
 فأجابوه ووثقوا له وأحبّ الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه
 عتبة بن أبي سفيان فقال له: استعن بعمر بن العاص فإنه من قد

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٧٨، والمعقد الفريد: ٨٠/٥
 والكامل: ٢٧٦/٣.

علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلا أن يضمن له دينه فسيتركه فإنه صاحب دنيا^(١).

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل الى عمرو فأعطاه مصر فقال عمرو: لي الله عليك بذلك شاهد، قال: نعم لك الله عليّ بذلك أن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو: والله على ما نقول وكيل.

فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة، قالوا: وما مصر في ملك العرب؟! قال:

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.

وكتب معاوية له بمصر كتابه وكتب: «على أن لا ينقض شرطاً طاعة» فكتب عمرو «على أن لا تنقض طاعة شرطاً» فكأيد كل واحد منهما صاحبه^(٢).

فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى في عليّ؟ قال: إنه قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام الى رد هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بين السمط الكندي وهو عدو لجريير

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦١ / ٢، والظيري: ١٦٦ / ٤ و ٩٨ / ٥،
والمسعودي: ٢٦٣ / ٢، والكامل: ٢٧٦ / ٣.

(٢) شرح النهج: ٦٧ / ٢، والمقد: ٩٢ / ٥.

المرسل إليك.

فابعث إليه ووطن له ثقافتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً.

فكتب الى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مظع فأقدم^(١).

فلما قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه فلما دخل على معاوية تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل إن جرير بن عبدالله قدم علينا يدعوننا الى بيعة علي وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان وقد حبست نفسي عليك وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا. فقال شرحبيل: أخرج فانظر فلقية هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم أخبره أن علياً قتل عثمان فرجع مغضباً الى معاوية فقال: يا معاوية أباي الناس إلا أن علياً قتل عثمان والله إن بايعت له لنخرجتك من شامنا أو لنقتلك.

فقال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال: فردّ هذا الرجل الى صاحبه إذن.

فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كلّه مع شرحبيل^(١).

فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب ابن جُعيل:

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهونا^(٢)

قميص عثمان

يقول الطبري: وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه، وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم، إصبعان منها وشيء من الكف وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الأجناد وثاب إليه الناس

(١) شرح النهج: ٧٣/٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد. ٨٧/٣.

وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام إلا يأتوا النساء ولا يمسهن الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفراش حتى يقتلوا قتلة عثمان، فمكثوا حول القميص سنة.

والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلله أحياناً فيلبسه وعلق في أردانه أصابع نائلة^(١).

وقال نصر: فلما نزل عليّ ﷺ النخيلة متوجهاً إلى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجف دموعهم على عثمان، خطبهم وقال:

يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في عليّ وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتم غيرة وهو أمر بقتله وألب الناس عليه وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم.

يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا وليه وأحق من طلب

(١) الطبري: ٥٦٢/٤، والكامل: ٢٠٣/٣ / ٢٧٧، والسيرة الحلبية:

بدمه وقد جعل الله لولي المقتول ظلماً سلطاناً فانصروا خليفتمكم
المظلوم فقد صنع القوم به ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغياً وقد أمر الله
تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله، ثم نزل.
قال نصر: فأعطوه الطاعة وانقادوا له، وجمع إليه أطرافه
واستعدّ للقاء عليّ عليه السلام (١).



وسار أمير المؤمنين عليه السلام لحرب معاوية وحرّض الناس
على ذلك وقصده في مائة من البدرين كما في وقعة صفين لنصر
ابن مزاحم ص ٢٣٨ وثمانمائة من أهل بيعة الرضوان من بايع
رسول الله تحت الشجرة كما في الإصابة لابن حجر واستشهد كثير
منهم مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ويل للمطّفين

إذا كان الله سبحانه وتعالى توعد من بخس الناس أشياءهم
المادية التافهة من طعام وشراب وغيرهما من الأمور الدانية

(١) شرح النهج: ١٩٦/٣، وكتاب صفين: ١٤٣.

الديوية فياترى كيف حال من بخسهم في الأمور الشريفة العالية وتركهم في حيرة وضلال على مرّ الدهور والأجيال.

فقبل كل شيء لابد أن نعرف شيئاً قليلاً مختصراً عن قادة الفئة الباغية القاسطين؛ لأنه في الوقوف والتعرف عليهم يزول الشك والإرتياب ويعرف مع من الحق والصواب.

ولأنه لا يمكن أن نعدّ التاريخ فترة زمنية انفصلت وتصرّمت فهو شيء منفصل عن حاضر الإنسان ومستقبله، ولذلك ترى القرآن أو الله الذي خلق الإنسان والزمان والأكوان يذكر ما جرى على آدم وبنيه قاييل وهابيل وغيرهم من أولياء الله أو أعداء الله من أنبياء ورسول وفراغة وطغاة وما جرى في الأمم السابقة لها أو عليها لأنه يرى أن التاريخ يشكّل عاملاً مهماً في بناء حياة الإنسان معاشاً ومعاداً حاضراً ومستقبلاً.

ونخصّ التاريخ الإسلامي بالنسبة لنا لأنه ترتّب عليه مسألة الإيمان والكفر وعاقبة الإنسان من جنة ونار لأن دراسة التاريخ سبب لمعرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والصحيح من السقيم.

فكثير من عقائد الإنسان سواء في أصول دينه أم فروعه

تتوقف على دراسة التاريخ، فإذا التاريخ جزء لا ينفصل عن حياة الإنسان ومن الواضح أن التاريخ منتزع من الحدث والحدث صنعه الرجال فبالتالي يكون الحديث عنهم ولا فرق في ذلك بين المحسن والمسيء وسواء في ذلك الصحابي وغيره فلا تغني الصحبة ولا تكون عصمة وكذلك القرابة والزوجية والبنوة، أسوتنا وقدوتنا في ذلك هو القرآن، ففي نوح ﷺ يقول سبحانه: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ قال يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح^(١) وقال سبحانه وتعالى في شأن أمهات المؤمنين امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ .

وفي القرابة يقول سبحانه: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ .
 أما ما قيل أو يقال أنه لا بد أن نغض النظر عن أولئك النفوس الذين عاشروا وعاشوا وصحبوا النبي ﷺ ولا يعلم النوايا إلا الله ولعلهم تابوا أو أنهم اجتهدوا وكل إنسان معرض للخطأ، وأن الراوي يقول أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

فهذا كلام ظاهره أنيق لا يصمد أمام التحقيق بل لا يرتضيه حتى الصديق، والواقع الخارجي بخلافه تماماً فكثير منهم كان مصدر ضلال وفساد وفتنة وعناد ومن اقتدى بهم أحلوه دار البوار والدمار ولم يجتن إلا العار والشنار وغضب الجبار.

وكلمة قرأتها أثارت تأسفي وحزني تمدح البخس والتطفيف وأنه عمل شريف واستحسن هكذا تأليف.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧٥ بعد أن نقل كلام ابن سعد منذ أن بويع لعلي عليه السلام بالخلافة إلى أن هوى في محرابه مخضباً بدمه ولخص كل ذلك في أقل من صفتين قال:

هذا كله كلام ابن سعد، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره لأن هذا هو اللائق بهذا المقام.

وعلى ذلك بقول الراوي: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقوله: «بحسب أصحابي القتل».

أقول: لا أدري هل الكاتب يكتب لنفسه ولبعض الرجال أم يكتب للأمة والتاريخ والأجيال.

أما قادة الفئة الباغية القاسطين فمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص .

معاوية

أحبيت أن أنزع اليراع والقلم عن ذكر ترجمة هذا الصنم إذ أن تاريخه أشد سواداً من الفحم، لكن رأيت من أثنى عليه وقَدَّسه، وحاول عاجزاً أن يغسل رجزه وذنسه فعاد يعقر بالتراب يديه لما لمسه، فما كان يخطر على البال. أن طاغوتاً على تلك الحال يمدحه اعورٌ دجال.

وإذ ابني أقرأ كلمات، تثني عليه في الحياة والممات. فرأيت أن أترجم له كما ذكر أهل السير، إذ أن في تركها شربل ضرر. ترعرع ونشأ في بيت أبيه صخر بن حرب أبي سفيان الذي قاد قريشاً في حروبها ضد الإسلام.

وورث من أبيه صفاته وأخلاقه الرذيلة فقد كان أبو سفيان ولوعاً بالتنقل بين بيوت الزواني حتى ضرب به المثل فقيل أزنى من صخر^(١).

أما الأم فهند آكلة الأكباد وهي مثل أبي سفيان يقول ابن أبي الحديد في ج ١، ص ٣٣٦: وكانت هند تذكر في مكة

(١) الاستيعاب: ٢٠١. وشرح النهج: ١٦/١٨٠، والمعقد الفريد: ٥/٢٦٧.

بفجور وعُهر.

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار: كان معاوية يُعزى الى أربعة، الى مسافر بن أبي عمر والى عمارة بن الوليد بن المغيرة، والى العباس والى الصباح مغنٌّ كان لعمارَة بن الوليد. وقالوا أن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وإن هنداً كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت الى أجياد فوضعتَه هناك وفي هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح:

لمن الصبي بجانب البطحا في الترب مُلقى غير ذي مهدٍ
 نجلت به بيضاء أنسَةً من عبد شمس صلته الخيد^(١)
 ومن كتاب لزياد بن أبيه يجيب معاوية عن تعبيره إياه بأمه
 سمية يقول: وأما تعبيرك لي بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن
 جماعة^(٢).

أقول: إن الإسلام يجب عما قبله بل حتى الاستسلام الشكلي الظاهري لكن هم الذين كشفوا عن عوراتهم ببغضهم ولعنهم

(١) ربيع الأبرار: ٢٧٦/٤.

(٢) شرح النهج: ١٨٣/١٦.

وسبهم وشتهم وحروبهم لعلي وأبناء علي وشيعة علي، فهم لا يكثر ثون بما قيل ويقال فيهم إذا سلمت دنياهم.

عداؤه وبغضه للنبي ﷺ:

روى الزبير بن بكار في الموفقيات وهو غير متهم على معاوية ولا منسوب الى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليؑ والانحراف عنه، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية وكان أبي يأتيه. فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه.

إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مفتماً فانتظرت ساعة وظننت أنه لأمرٍ حدث فينا.

فقلت: مالي أراك مفتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: أنك قد بلغت ستاً يا أمير المؤمنين فلو اظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت ولو نظرت الى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل
وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل
أبوبكر.

ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك
حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر:

وأن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أن
محمداً رسول الله» فأبي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا أبالك
لا والله إلا دفناً دفناً^(١).

وذكر الحفاظ محاورة جرت بين معاوية وبين أمد بن أمد
الحضرمي أحد المعمرين قال له معاوية: رأيت هاشماً؟

قال: نعم والله طوالاً حسن الوجه يقال إن بين عينيه بركة.
قال فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال
إن في وجهه شراً أو شوماً.

قال: أفرأيت محمداً قال ومن محمد قال: رسول الله قال: أفلا
فخمت كما فخمه الله فقلت: رسول الله^(٢).

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٢٩/٥، ومروج الذهب: ٤١٤/٤.

(٢) تاريخ ابن عساکر: ١٠٣/٣، أسد الغابة: ١١٥/١.

هَمَّةُ الإِمْرَةِ وَالرَّئِيسَةِ

روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد، قال: صَلَّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(١).

اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِهَوًى وَلِعِباً

إن عمرو بن لعاص أوفد إلى معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو: انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم. فلما قدموا عليه قال معاوية: لحجابه إنني أعرف ابن النابغة وقد صغر أمرني عند القوم فانظروا إذا دخل الوفد فتعتوهم أشد تعتة تقدرون عليها فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همته نفسه بالثلف.

(١) شرح النهج: ١٦/٤٦، وطبقات ابن سعد: ٤٨٨/٨، وأبوالفرج في مقاتل:

فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد تتع فقال: السلام عليك يا رسول الله فتابعه القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوة^(١).

نصره حيث كان النصر له

روى البلاذري قال: لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق، وقال له:

إذا رأيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإني أنا الشاهد وأنت الغائب قال: فأقام بذئ خشب حتى قتل عثمان.

فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه وإنما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه^(٢).

(١) الطبري: ٣٣٠/٥، والكامل: ١١/٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥٤/١٦، وفي الطبري: ٣٦٨/٤، والكامل:

١٧٠/٣ يقرب منه.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠ قال: واخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي أنه دخل على معاوية فقال له معاوية:

ألست من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكني ممّن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار فقال معاوية: أما لقد كان حقّه واجباً عليهم إن ينصروه. قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام. فقال معاوية: أما طلبتي بدمه نصره له؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا^(١)

ضئيل محتقر

أتى وائل بن حجر النبي ﷺ فأقطعه أرضاً، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه الأرض ويعرضها عليه ويكتبها له. فخرج مع وائل في هاجرة شاوية، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرمضاء فقال: أردفني قال: لست من أرداف الملوك. قال: فأدفع إليّ نعليك. قال: ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان

(١) العقد الفريد: ١١٥/٤، والمسعودي: ٢٥/٣.

ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي.
ولكن امشي في ظل ناقتي فحسبك بذلك شرفاً^(١).

عمرو بن العاص

فقد شابه معاوية شهباً كبيراً حتى من جهة الأب والأم.
فأبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ﷺ
والمكاشفين له بالعداوة والأذى وفيه وفي أمثاله وأصحابه أنزل
قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ويلقب العاص بن وائل في
الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً ويعني
بذلك النبي ﷺ فينقطع ذكره لأنه لم يكن له ﷺ ولد ذكر يُعقب
منه فأنزل الله سبحانه: ﴿إِن شِئْنَاكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وأما أمه التي تلقب بالنابغة واسمها ليلي أو سلمى يقول
الزمخشري في ربيع الأبرار: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة
لرجل من عنزة فسيبت فأشترها عبدالله بن جدعان التيمي بمكة
فكانت بغيًا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبدالمطلب وأمّية بن
خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبوسفيان بن حرب
والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد.

(١) شرح النهج: ٣٥٣/١٩، والبيهقي في المحاسن والمساوي: ٢٠١، والسيرة
الحلية: ٩٠/٣، وربع الأبرار: ١٧٥/٤، وتاريخ المدينة: ٥٧٩/٢.

فولدت عمراً فاذعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لأن العاص كان ينفق عليها كثيراً^(١).

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بيتات الشمال
ففاخر به أما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل^(٢)

وروي عن أبي عبيدة مثل ذلك في كتاب الأنساب، أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل.

فقيل لتحكم أمه فقالت أمه: إنه من العاص بن وائل، فقال أبو سفيان: أما إني لا أشك أني وضعت في رحم أمه فأبت إلا العاص.

فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً فقالت: إن العاص بن وائل كثير النفقة عليّ وأبو سفيان شحيح^(٣).

والى هذا يشير ما ذكره ابن الأثير في الكامل في قضية التحكيم حيث أرسل علي بن أبي طالب شريح بن هانئ الحارثي وأوصاه بأن

(١) المحاسن والمساوي: ٧٠ و ٧٥.

(٢) شرح النهج: ٢٨٢/٦ - ٢٨٣ و ربيع الأبرار: ٢٧٥/٤. والمحاسن والمساوي للبيهقي: ٧٠ - ٧٥.

(٣) شرح النهج: ٢٨٥/٦.

يوعظ ويحذر عمرو بن العاص من عاقبة أمره.
 فلما بلغه تغير وجهه ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ أو
 أنتهي إلى أمره أو اعتد برأيه.
 فقال له: وما يمنعك يا بن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد
 المسلمين بعد نبيّهم مشورته؟ فقد كان من هو خير منك أبوبكر
 وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.
 فقال له: إنّ مثلي لا يكلم مثلك. فقال شريح: بأيّ أبويك
 ترغب عني يا بن النابغة؟ أبايك الوشيظ أم بأمك النابغة^(٢٧).

عمرو بن العاص مع عثمان

فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان
 فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال:
 يا بن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك! إنّما عهدك بالعمل
 عاماً أوّل أظعن عليّ وتأتيني بوجهه وتذهب عني بآخر والله لولا

(١) ومن أراد الاطلاع على أكثر من ذلك فليرجع إلى ج ٢ من القدير: ١٢٢.
 فإنّه ذكر عدّة مصادر. وفي الطبري: ١/٣٣٥ قول عليّ: ٥٤/٥. وهل تشبه
 إلا أمك التي وضعت بك.

(٢) شرح النهج: ٢/٢٥٤. وتاريخ الطبري: ٧٠/٥. والكامل: ٣٢٩/٥. والمعقد:
 ٩٦/٤. وفي التبيان للجاحظ أبيات في أمّه: ٥٤٣/٣.

أكلة ما فعلت ذلك... قال والكلام للواقدي:

فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان.

فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى الى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان.

قال: بينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبدالله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: تركته محصوراً شديد الحصار.

قال عمرو: أنا أبو عبدالله، قد يضطر العيرُ والمكواة في النار، فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل - يعني عثمان - قال: قُتل. قال: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها.

إن كنت لأحرّض عليه حتى إنّي لأحرّض عليه الراعي في

غنمه في رأس الجبل^(١).

خطب عثمان يوماً فصاح به عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك، فتب الى الله نتب. فناداه عثمان وإنك هاهنا يا ابن النابغة قملت جبتك منذ نزعتك عن العمل، فنودي من ناحية أخرى تب الى الله. ونودي من أخرى مثل ذلك. فرفع يديه الى السماء وقال: اللهم اني أول التائبين ثم نزل^(٢).

ما ينطق عن الهوى

عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص جميعاً ففرقوا بينهما»^(٣).

وفي هذا الكتاب من كنز العمال حديث ٣١٧٢٠ عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه أنه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو ابن العاص على فراشه فجلس شداد بينهما قوال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتموهما

(١) الطبري: ٣٥٧/٤. وتاريخ المدينة لابن شبة: ١٠٨٩/٣.

(٢) شرح النهج: ١٤٣/٢. وتاريخ الطبري: ٣٦٠/٤.

(٣) كنز العمال: كتاب الفتن: ٨٦/١١ حديث ٣١٢٠١. والعقد الفريد: ٩٣/٥.

جميعاً ففرقوا بينهما»^(١).

وفي مفاخرة بين الحسن بن علي عليه السلام ورجال من قريش رواها الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات فقال الحسن عليه السلام: وأما أنت يا ابن العاص فإنّ أمرك مشرك وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها الأهمهم حسباً واختبهم منصباً ثم قام أبوك فقال: أنا شائنٌ محمد الأبرّ فأنزل الله فيه ما أنزل.

وقالت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكذته كيدك كلّه وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك وأشياً جعلت حدك على صاحبك عُمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب مع حليلتك ففضحك الله وفضح صاحبك.

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم أنك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله ﷺ: «اللهم آتني لا أقول الشعر ولا ينفي لي، اللهم ألغنه بكلّ حرف ألف لعنة» فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سقرت عليه الدنيا ناراً،

(١) رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ج ٢، ص ٢٩٠ وفي كتاب صفين:

ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت قرحة آدميتها.

ثم حبست نفسك عن معاوية وبعث دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا غضبت له مقتولاً^(١).

بطل بعورته يقاتل

تعرض عمرو بن العاص لعليّ عليه السلام يوماً من أيام صفين، وظنّ أنه يطمع منه في غرة فيصيبه فحمل عليه عليّ عليه السلام، فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشغره برجله فبدت عورته. فصرف عليه السلام وجهه عنه وقام معقراً بالتراب هارباً على رجله معتصماً بصفوفه فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين أفلت الرجل! فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص، تلقاني بسوءته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو الى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبدالله؟ فقال: لتيني عليّ فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، والله إنني لأظنك لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية في ذلك:

(١) شرح النج لابن أبي الحديد: ج ٦/٢٩١.

ألا الله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازي
 فقد لاقى أبا حسن علياً فآب الوائلي مآب خازي
 فلو لم يبد عورته لطارت بمهجته قوادم أي بازي
 فإن تكن المنيّة اخطأته فقد غتني بها أهل الحجاز
 فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك علياً في أمري! هل أنا إلا
 رجل لقيه ابن عمّه فصرعه أفتري السماء قاطرة لذلك دماً؟ قال:
 لا ولكنها معقبة لك خزيًا^(١).

أبو موسى الأشعري

هو عبدالله بن قيس وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت
 بالمدينة واختلف في أنه هل هو من مهاجرة الحبشة أم لا؟
 والصحيح أنه ليس منهم، ولكنه أسلم ثم رجع الى بلاد قومه، فلم
 يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ،
 فوافق قدمهم قدوم أهل السفينتين جعفر ابن أبي طالب وأصحابه
 من أرض الحبشة.

فوافقوا رسول الله ﷺ بخير فظن قوم أن أبا موسى قدم من
 الحبشة مع جعفر.

(١) المصادر لهذه البطولة كثيرة فمن أراد الاطلاع فليراجع، الفدير:

وولاه رسول الله ﷺ من مخاليف اليمن زبيد، وولاه عمر البصرة لَمَّا عزل المغيرة عنها، فلم يزل عليها الى صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها، فنزل أبو موسى الكوفة حيثنذ وسكنها فلَمَّا كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها، ولوا أبا موسى وكتبوا الى عثمان يسألونه ان يوليه فأقره على الكوفة.

فلَمَّا قتل عثمان عزله عليّ ﷺ فلم يزل واجداً لذلك على عليّ ﷺ حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له^(١).

قال ابن أبي الحديد بعد نقله لهذا الكلام: قلت: انّ الكلام الذي أشار إليه أبو عمر ابن عبد البر ولم يذكره هو قول حذيفة في أبي موسى وقد ذكره عنده بالدين:

أما أنتم فتقولون ذلك، وأما أنا فاشهد أنه عدو الله ورسوله، وحرّب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسر إليه رسول الله ﷺ أمرهم واعلمه أسمائهم وروى أن عماراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس

(١) الاستعاب: ٦٥٨، ٣٨٠ باختصار.

الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط.

وروي عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن رسول الله ﷺ، قال سمعته يقول: «إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكيمين ضالين ضللاً وأضللاً من أتبعهما ولا ينفك أمر أمتي حتى يبعثوا حكيمين يضلان ويُضلان من تبعهما».

فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه. وقال: أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا^(١).

أقول: إن قول صاحب الاستيعاب؛ فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره، إن كانت هذه الكراهة من باب الورع والتقوى فحذيفة أهل أن يكره ذلك ومن قبله رسول الله ﷺ حيث علمه وأسر إليه ما أسر إلا أن يقول صاحب الاستيعاب أنا اتقنى وأورع منهما وأتخرج من ذكر ما ذكره!

إلا أن الظاهر أن هذه الكراهة أو النفرة هي من النوع الذي أشار إليها نفس حذيفة ففي كنز العمال عن حذيفة أنه قيل له: إن عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عماراً.

(١) رواه المسمودي في مروج الذهب: ٤٠٣/٢، وكنز العمال: ١٩٥/١٢٦/١.

وابن مردويه في المناقب: ١٦٨، وشرح نهج البلاغة: ٣١٥/١٣.

قيل: إنَّ عمار لا يفارق علياً قال: إنَّ الحسد أهل للجسد وأنما ينفركم من عمار قربه من علي، فوالله لعلِّي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنَّ عماراً من الأخيار^(١).
 فيا حذيفة إنَّما كرهوا كلامك ونفروا منه لقربك من علي
 وانتقاصك من عاداه وانحرف عنه.

أبو موسى يشبِّط الناس عن نصره عليّ ﷺ
 كتب عليّ ﷺ إلى أهل الكوفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقَّ وقضى الذي عليه».

فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج، فقال أبو موسى: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا، وأنتم أعلم وبلغ المحمديين قول أبي موسى، فبايناه وأغلظنا له.

فقال: أما والله إنَّ بيعة عثمان في عنقي وعُنق صاحبكما الذي أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة

(١) فضائل الصحابة: حديث ٢٧٢٨٢.

عثمان إلا قُتل حيث كان^(١).

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال: لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة، استنفرا الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً، فقالوا له: أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى عليٍّ رضي الله عنه.

فقال: أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأما سبيل الدنيا فاشخصوا معهما.

فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، وبلغ ذلك المحمّدين، فأغلظا لأبي موسى فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان لفي عنق عليٍّ وعنقي وأعناقكما، ولو أردنا قتالاً ما كنا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان^(٢).

النبي يخصّه بالقيود

وأقبل الحسن رضي الله عنه على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى لم تنبئ الناس عنّا! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم،

(١) الطبري: ٣١٣٩/١، والكامل: ٢٧٧/٣.

(٢) شرح النهج: ٩/١٤.

والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب...».

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا أيها الناس إنما قال له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً^(١).

وفي كنز العمال عن أبي مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: يا أبا موسى أنشدك الله ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»؟

وأنا سائلك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله ﷺ من يقرررك به.

أنشدك الله أليس عنك رسول الله ﷺ أنت نفسك؟ فقال: «أنها ستكون فتنة بين أمتي يا أبا موسى أنت فيها قائماً خيراً منك قاعداً، وقاعداً خير منك قائماً، وقائماً خيراً منك ماشياً»؟

فخصك رسول الله ﷺ ولم يعم الناس، فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئاً^(٢).

وقال أبو مخنف: فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر، وقال:... إلى أن يقول: أما بعد يا أهل الكوفة، إن تطيعوا الله باديأً، وتطيعوني ثانياً، تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المضطرّ ويأمن فيكم الخائف.

(١) الطبري: ٣١٤٧/١.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٤٩٥. كتاب الفتن والأهواء. قسم الأفعال.

إِنَّ عَلِيًّا إِنَّمَا يَسْتَنْفِرُكُمْ لَجِهَادِ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ
 حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْفِتَنِ
 إِنَّهَا إِذَا أَقْبَلَتْ شَبِهَتْ....

وَكَأَنِّي أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْأَمْسِ يَذْكُرُ الْفِتْنَ، فَيَقُولُ: «أَنْتَ
 فِيهَا نَائِمٌ خَيْرٌ مِنْكَ قَاعِدٌ، وَأَنْتَ فِيهَا جَالِسٌ خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمٌ، وَأَنْتَ فِيهَا قَائِمٌ
 خَيْرٌ مِنْكَ سَاعِبٌ».

فَقَامَ إِلَيْهِ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 يَقُولُ ذَلِكَ! قَالَ: نَعَمْ هَذِهِ يَدِي بِمَا قُلْتَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّمَا
 عِنَاكَ وَحَدُّكَ وَاتَّخِذْ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ، فَالْتَزِمْ بَيْتَكَ وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي
 الْفِتْنَةِ أَمَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ عَلِيًّا بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ، وَسَمِيَ
 لَهُ فِيهِمْ مِنْ سَمَى، وَأَمْرُهُ بِقِتَالِ الْقَاسِطِينَ، وَإِنْ شِئْتَ لِأَقِيمَنَّ لَكَ
 شَهَادًا يَشْهَدُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا نَهَاكَ وَحَدَّكَ وَحَدَّرَكَ مِنْ
 الدُّخُولِ فِي الْفِتْنَةِ^(١).

غَلَبَةُ الْغَشِّ

إِنَّ عَبْدَ خَيْرِ الْخِيَوَانِي (الْخَيْرَانِي) قَامَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: يَا أَبَا
 مُوسَى، هَلْ كَانَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ - يَعْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ - مِمَّنْ بَايَعَ
 عَلِيًّا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَحْدَثَ حَدَثًا يَحُلُّ بِهِ نَقْضَ بَيْعَتِهِ؟

(١) شرح النهج: ١٤ / ١٥.

قال: لا أدري، قال لا دريت، إنا تاركوك حتى تدري.
يا أبا موسى! هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم
أنها هي فتنة أنما بقي أربع فرق عليّ بظهر الكوفة، وطلحة والزبير
بالبصرة و معاوية بالشام، وفرقة أخرى بالحجاز لا يجبي بها فيء
ولا يقاتل بها عدو فقال له أبو موسى: أولئك خير الناس، فقال له
عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك^(١).

وأقبل الأشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد
الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد
إلا دعاهم ويقول: اتبعوني الى القصر، فانتهى الى القصر في جماعة
من الناس فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب
الناس ويثبّطهم.

يقول: أيها الناس، إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها،
النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم
فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي
فيها خير من الراكب....

وعمار يخاطبه والحسن رضي الله عنه يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك وتنح
عن منبرنا، وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

(١) الكامل: ٢٢٩/٣، والنهج: ٢٠/١٤، والطبري: ٣١٥٢/١.

فقال أبو موسى: هذه يدي بما قلت، قال له عمّار: غلب الله من غالبه وجاحده^(١).

ونقل الطبري عن نصر بن مزاحم بسنده الى أبي مريم الثقفي قال: والله إني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون وينادون يا أبا موسى، هذا الأشر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى ودخل القصر، فصاح به الأشر أخرج من قصرنا لأم لك أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً، قال: أجلني هذه العشيّة، فقال. هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة^(٢).

أقول: ان ابن الأثير في كتابه الذي سماه بالكامل اقتلع وابتلع قول الأشر لأبي موسى: «فوالله إنك لمن المنافقين قديماً» لأنه يدرك جيداً ماذا تعني هذه الكلمة، فإنها تعني ما كان يتكلم به حذيفة بن اليمان كما أسلفنا.

الأشعري في كلام علي عليه السلام

ألا إن هذين الرجلين اخترتموهما حكيمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما أحيا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن

(١) الطبري: ٣١٥٣/١. وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

(٢) الطبري: ٣١٥٤/١. وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة
بينتة ولا سننة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد،
فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين^(١).

وروى أبو مخنف، قال: وبعث عليّ عبدالله بن عباس
ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى وكتب معهما:

من عبدالله علي أمير المؤمنين الى عبدالله بن قيس، أما بعد يا ابن الحائك،
يا عاض أير أبيه، فوالله أتى كنت لا أرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك
الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري والانتزاع عليّ وقد
بعث إليك ابن عباس وابن أبي بكر فخلهما والمصر وأهله واعتزل عملنا
مذءوماً مدحوراً فإن فعلت وإلا فإنني قد أمرتهما أن يتابذاك على سواء إن الله
لا يهدي كيد الخائنين، فإذا ظهرا عليك قطعاك إرباً إرباً^(٢).

قال نصر فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومة إذا صلى الغداة
والمغرب، وفرغ من الصلاة قال: اللهم أعن معاوية وعمراً وأبا
موسى و...^(٣).

(١) الطبري: ٣٣٦٨/١. وشرح النهج: ٢٥٩/٢. وابن الأثير: ٣٣٨/٣.

ومروج الذهب: ٤١٣/٢.

(٢) شرح النهج: ١٠/١٤. والطبري: ٥٠٠/٤.

(٣) شرح النهج: ٢٦٠/٢.

ورث البغض لا عن كلاله

يقول ابن أبي الحديد: ومن المبغضين القالين أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، ورث البغضة له لا عن كلاله. أي ورثها عن أبيه. وقد روى عبدالرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف قال: رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر: أنت قتلت عمار بن ياسر قال: نعم قال: ناولني يدك فقبلها. وقال: لا تمسك النار أبداً^(١).

قدم الشيخ لأبيه

يقول الطبري: حدثني أحمد، عن علي، عن جويرية بن أسماء، قال: قدم أبو موسى على معاوية، فدخل عليه في بُرنس أسود، فقال: السلام عليك يا أمين الله قال: وعليك السلام، فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لأبيه، ولا والله لا أوليه^(٢). قال: وحدثني عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبو صالح سليمان ابن صالح قال: حدثني عبدالله بن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: دخلت على معاوية حيث

(١) شرح النهج: ٩٩/٤.

(٢) الطبري: ج ٥، ص ٣٣٢، والكامل: ١٢/٤.

أصابته قرحته، فقال: هلمّ يابن أخي نحوي فانظر، فنظرت فإذا هي قد سُبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين فدخل يزيد فقال معاوية: إنّ وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا فإنّ أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أنّي رأيت في القتال ما لم يره^(١).

تشابهت قلوبهم

ثم لا يخفى على القارئ الفطن والملتصع الرزن وجود التشابه بين هؤلاء الثلاثة أعني ابن هند وابن النابغة والأشعري. فالقلوب متشابهة والآراء متقاربة، فمما اجتمعوا عليه قديماً وحديثاً بغضهم لعليّ ورفعهم لقميص عثمان زاعمين أنّهم يطلبون بدمه ليثبطوا ويفرقوا الناس عن عليّ عليه السلام. فمن الخطأ والغباء والسذاجة أن يقال: إنّ أبا موسى خُدع أو أنه رجل مغفل فالرجل مارس المهمة الصعبة التي أنيطت به من قبل الحركة أو التنظيم ولعب دوراً قد أعد له من قبل، وكما قال ابنه أبو بردة فيه:

أنا ابن مشتت الإسلام لَمَّا صُير الحكما

(١) الطبري: ٣٣٢/٥، وابن سعد: ٣٧٥/٤.

أَزَلَّ عَنِ الْوَرِيِّ عِلْمًا وَأَنْصَبَ لِلْوَرِيِّ صِنْمًا
وَلَمْ يُخْدَعْ كَمَا زَعَمُوا وَلَكِنْ كَانَ مَتَهُمَا^(١)

من أخبار عليّ في طريقه إلى صفين

قال نصر: حدثنا عبدالعزيز بن سياه بن حبيب عن أبي ثابت
قال: حدثنا أبو سعيد التميمي المعروف بعقيصا قال:

كنا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة
من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء.

فأطلق بنا عليّ عليه السلام حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس في الأرض
كانها ربضة عنز فأمرنا فاقتلناها فخرج لنا من تحتها ماء فشرّب
الناس منه وارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه.

وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً قال عليه السلام: أمنكم أحد يعلم مكان
هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانطلقوا
إليه، فانطلق متّار رجال ركباناً ومشاة، فاقترضنا الطريق إليه حتى
انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه فطلبناه فلم نقدر على شيء
حتى إذا عيّل علينا انطلقنا إلى دّير قريب متّافسألناهم: أين هذا
الماء الذي عندكم؟

قالوا: ليس قربنا ماء، فقلنا: بلى، إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم

(١) هذه الأبيات الثلاثة في كتاب الصراط المستقيم: ج ٣، ص ١٧٧.

شربتم منه! قلنا: نعم، فقال صاحب الدّير: والله ما بُني هذا الدير إلا
لذلك الماء وما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي^(١).

الراهب الشهيد

قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن مسلم الملائي عن حبة
العربي قال: لما نزل عليّ الرقة نزل بموضع يقال له البليخ^(٢) على
جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلّي عليه السلام :
إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن
مريم. أعرضه عليك قال: نعم فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما
سطر، أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة
ويدلهم على سبيل الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا
يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح. أمته الحمادون الذين
يحمدون الله على كل نشز^(٣) وفي كل صعود وهبوط تذلل ألسنتهم
بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله على كل من ناواه فإذا توفاه

(١) شرح النهج: ٢٠٤/٣. وصفي: ص ١٤٥.

(٢) البليخ: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون.. ويتشعب من ذلك
الموضع أنهار تقي بساتين وقرى ثم تصب في الفرات تحت الرقة بسمل.
معجم البلدان.

(٣) النشز: المكان المرتفع. كالنشاز.

الله اختلفت أمته من بعده ثم اجتمعت فلبثت ما شاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يركس في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح والموت أهون عليه من شرب الماء على الضمان يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية لا يخاف في الله لومة لائم فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى ﷺ ثم قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتفدى مع أمير المؤمنين ويتعشى حتى أصيب يوم صفين. فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال ﷺ: اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: هذا منا أهل البيت. واستغفر الله له مراراً^(١).

الخلق الكريم

روى نصر: أن عمرو بن العاص قال لمعاوية لَمَّا ملك أهل

(١) شرح النهج: ٢٠٥/٣ و٢٠٦. والمعيار والموازنة: ١٣٤. ومنابغ الخوارزمي: ٢٤٢، وكتاب صفين: ١٤٧.

العراق الماء: ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس أترك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة.

فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنك بعلي؟ قال: ظني أنه لا يستحل منك ما استحللت منه وأن الذي جاء له غير الماء.

قال نصر: فقال أصحاب علي عليه السلام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك فقال: لا خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم الى الهدى فإن أجابوا، وإلا ففي حدّ السيف ما يعني إن شاء الله.

قال: فوالله ما أمسى الناس حتى رووا سقاهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمن على الماء ما يؤذي إنسان إنساناً^(١).

علي مع القرآن

ثم إن علياً عليه السلام دعا أصحابه الى أن يذهب واحد منهم بمصحفٍ كان في يده الى أهل الشام، فقال: من يذهب إليهم فيدعوهم الى ما في هذا المصحف فسكت الناس وأقبل فتى اسمه

(١) شرح النهج: ٣/٣٢١ باختصار، والطبري: ٤/٥٧٢، والمسعودي:

سعید فقال: أنا صاحبه. فأعاد القول ثانية، فسكت الناس، وتقدم
الفتى فقال: أنا صاحبه.

فسلمه إليه فقبضه بيده ثم أتاهم فناشدهم الله ودعاهم الى ما
فيه فقتلوه فقال علي عليه السلام لعبد الله بن بديل: احمل عليهم الآن ^(١).

الإعلام المضلل والدعاية الممقوتة

إن هاشم بن عتبة المرقال مضى في عصابة معه من القرءاء
فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء، فإنهم لكذلك إذ خرج
عليهم فتى شاب وهو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان
إنني أتاني خبر فأشجان أن علياً قتل ابن عفان
ثم يشتد فلا ينشني حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم ويلعن
ويكثر الكلام، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدالله، إن هذا الكلام
بعده الخصام وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع
الى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال:

فإنني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي وأنتم لا
تصلون أيضاً وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه
على قتله.

(١) شرح النهج: ١٩٦/٥، وصفين: ٢٤٤.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عقان! إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرءاء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظنّ أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين أهمل طرفة عين. فقال له: أجل، والله لا أكذب فإن الكذب يضر ولا ينفع، فقال له هاشم: إن أهل هذا الأمر أعلم به فخله وأهل العلم به.

قال: ما أظنك والله إلا نصحت لي فقال هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى مع رسول الله وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول.

وأما كل من ترى معي فكلمهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدًا، فلا يفوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبدالله، إنني أظنك امرئ صالحًا فتخبرني، هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبدالله، تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين فجسر والله الفتى الناس راجعًا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. قال: لا ولكن نصح لي^(١).

البدر يحفه البديون

قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين^(١) فقال بعد الحمد والثناء: وقد اختصنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها. ولا نقدر قدرها.

إن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا فوالله الذي هو بالعباد بصير، أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا.

فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبتنا بدري صدق صلى صغيراً وجاهد مع نبيكم كبيراً. ومعاوية طليق من وثاق الأسارى وابن طليق إلا أنه اغوى جفاة فأوردهم النار وأورثهم العار والله محل بهم الذل والصغار^(٢).

قال نصر: وقام الأشتر يخطب الناس بقناصرين فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

ثم كان مما قضى الله سبحانه وقدر أن ساقتنا المقادير إلى أهل البلدة من الأرض فلفت بيننا وبين عدو الله وعدونا، فنحن بحمد الله ونعمه ومته وفضله قريرة أعيننا طيبة أنفسنا نرجو بقتالهم

(١) قناصرين: موضع بالشام.

(٢) صفين: ٢٣٦. وشرح النهج: ٥/١٨٩.

حسن الثواب والأمن من العقاب.

معنا ابن عم نبينا وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب
صلى مع رسول الله ﷺ لم يسبقه الى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم
تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطه، فقيه في دين الله تعالى،
عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل وصبر جميل وعفاف قديم، فاتقوا
الله وعليكم بالحزم والجد واعلموا أنكم على الحق وأن القوم على
الباطل يقاتلون مع معاوية.

وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدري، سوى من حولكم
من أصحاب محمد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله،
ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله .
فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، أنتم على إحدى
الحسينين إما الفتح وإما الشهادة^(١).

مع ابن هند من لا سابقة له

إن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري وسلمة بن
مخلد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما.
ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج الى قيس فيعاتبه ويسأله

(١) شرح النهج: ١٩١/٥، وكتاب صفين: ٢٣٨، وانظر الى مروج الذهب:

السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفيين ونادى: يا قيس بن سعد... .
 وتكلم حول مقتل عثمان وهذه عادة كل من خالف وعادى
 علياً يومذاك فضحك قيس وقال: ما كنت أظنك يا نعمان محتويماً
 على هذه المقالة: إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت الغاش
 الضالّ المضلّ أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ
 مني واحدة، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير
 منك. وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأما معاوية
 فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار وأما قولك: إنا
 لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقي
 السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله
 وهم كارهون.

ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أو أعرابياً أو
 يمانياً مستدرجاً بغرور.

انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين
 رضي الله عنهم ورضوا عنه، ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصارياً
 غيرك وغير صويحبك، ولستما والله ببدرين ولا عقبيين ولا
 أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن^(١).

(١) شرح النهج: ٨٨/٨، وصفيين: ٤٤٩ باختصار.

الاستبصار على يدي عمّار

روى نصر بإسناده عن اسماء بن حكيم الفزاري قال: كنا بصفّين مع عليّ بن أبي طالب تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى استظللنا ببردٍ أحمر إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمّار بن ياسر، فقال عمار بن ياسر: أنا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم قال: إن لي إليك حاجة فانطق بها علانية أو سراً قال اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية قال: فانطق قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل.

فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدّم منادينا فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ونادى بالصلاة فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة ودعونا دعوة واحدة وتلوننا كتاباً واحداً ورسولنا واحداً.

فادركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمّار ابن ياسر؟ قلت: لا قال: فألقه فانظر ما يقول لك عمّار فاتبعه، فجئتك لذلك. قال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات،

وهذه الرابعة ماهي بخيرهن ولا أبرهن بل هي شرهن وأفجرهن^(١).

أشهدت بدرأً وأحدأً وحينئذٍ أو شهدها أب لك فيخبرك عنها.
قال: لا، قال: فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ
يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وإن مراكز رايات هؤلاء على
مراكز رايات المشركين من الأحزاب.

هل ترى هذا المعسكر ومن فيه؟ فوالله لو ددت أن جميع من
أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً
واحداً فقطعته وذبحته.

والله لدمأؤهم جميعاً أحل من دم عصفور، أفترى دم عصور
حراماً؟ قال: لا بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم أتراني
بينت لك؟ قال: قد بينت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت.

فانصرف الرجل ثم دعاه عمار فقال: أما انهم سيضربونكم
بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا على
حق ما أظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقذني عين ذباب
والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على
الحق وأنهم على باطل^(٢).

(١) الطبري: ٣٣١٩/١.

(٢) الطبري: ٣٣١٧/١. وابن الأثير: ٣٠٩/٣. صفين: ٣٢١. وشرح النهج:

سَمَّيَهُمْ بِمَا سَمَاهُمُ اللَّهُ

روى نصر بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل الى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحجّ واحد فماذا نسَمِّيهم؟ قال: سمَّيهم بما سمَّاهم الله في كتابه قال: ما كلّ في كتاب الله أعلمه، قال: أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله... ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ فلما وقع الاختلاف، كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئته وإرادته ^(١).

صدق النبي المختار في حقّ عمّار

إن كثيراً من الصحابة شهدوا صفين مع عليّ أمير المؤمنين فمن البدرين ما يقرب من مائة ومن أهل بيعة الرضوان ثمانمائة قُتل منهم ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر.

لكن شاع وذاع وظهر واشتهر اسم عمّار من بين أولئك

(١) شرح النهج: ٢٥٨/٥، وكتاب صفين: ٣٢٢، والكامل: ٣٠٨/٢.

الصحابة وذلك لما علم من أقوال النبي في حقّه كقوله: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية» وغيره من أحاديثه ﷺ.

والحكمة في ذلك معلومة لأنّ نبيّ الرحمة والرافة لا يترك الأمة في حيرة واضطراب في مثل هذه الفتن فلا بدّ من إتمام الحجّة والبيان كما قال سبحانه وتعالى في حقّه ﷺ: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^(١).

فالنبي ﷺ جعل من عمّار بلاغاً وبيانا وحجّة ودليلاً.

فعلني هذا ليس وجود عمّار الى جنب أمير المؤمنين هو وجود مقاتل فحسب بل هو وجود داع ومبلّغ ودليل يدعو أهل الحق الى نصره حقهم ويحذر أهل الباطل من مغتة الاستمرار على باطلهم فعّامر بمفرده يعادل جيشاً عظيماً.

قال صاحب الاستيعاب: وأسلم عمّار وعبدالله أخوه ويأسر أبوهم وسميّة أمهما، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام فعذبوا في الله عذاباً شديداً، وكان رسول الله ﷺ يمزّ بهم وهم يعذبون فيقول: «صبراً يا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة».

فأما سميّة فقتلتها أبو جهل، طعنها بحرية فماتت، وكانت من الخيرات الفاضلات وهي أول شهيدة في الإسلام.

قال أبو عمر: كان عمار بن ياسر ممن عذب في الله ثم أعطاهم ما أرادوا بلسانه واطمأن الإيمان بقلبه، فنزل فيه: ﴿إِلَّا مِنْ أَمْرِهِ وَقَلْبِهِ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١)، وهذا مما أجمع أهل التفسير.

وهاجر إلى أرض الحبشة، وصلى إلى القبليتين وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها وأبلى بلاءً حسنًا، ثم شهد الإمامة فأبلى فيها أيضًا يومئذٍ وقطعت أذنه.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَمَارًا مَلَأَ إِيمَانًا إِلَى مَشَاهِدِهِ» ويروى إلى أخمص قدميه.

وعن عائشة، أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا قلت، إلا عمار بن ياسر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ مَلَأَ إِيمَانًا إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ».

قال أبو عمر: وقال عبدالرحمن بن أبيزيد: شهدنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان، قُتِلَ مِثْلُ ثَلَاثَةِ وَسْتُونَ مِنْهُمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ.

قال أبو عمر: ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ عَمَارًا جَاءَ بِسَاطِئِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَعَرَفَ صَوْتَهُ فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمَطَّيَّبِ» يَعْنِي عَمَارًا أَتَدْنُوا لَهُ.

قال أبو عمر: ومن حديث أنس عن النبي ﷺ: «اشتافت الجنة الى أربعة: علي وعمار وسلمان وبلال»^(١).

قال أبو عمر: وفضائل عمار كثيرة جداً يطول ذكرها.

قال: وروى الأعمش عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال شهدنا مع علي رضي الله عنه صفين. فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه، كأنه علم لهم.

قال: وقد قال أبو مسعود البدري وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس فبمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت أو قال: فإنه يزول مع الحق حيث زال.

قال أبو عمر: وقد روى وكيع عن شعبة عن عبد بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال: لكانني أنظر الى عمار يوم صفين وهو صريع فاستسقى فأتي بشربة من لبن فشرب، فقال: اليوم ألقى الأحبة. إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن أخرج شربة أشربها في الدنيا شربة من لبن، ثم استسقى ثانية فأنته امرأة طويلة اليدين بإناء فيه ضياح من لبن فقال حين شربه: الحمد لله الجنة تحت الأسته والله لو

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/٤٠٤.

ضربونا يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل
ثم قاتل حتى قتل.

قال أبو عمر: وتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«تقتل عمار الفتنه الباغية» وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوته ﷺ
وهو من أصح الأحاديث^(١).

وروى أبو مخنف، أن عمار بن ياسر خرج الى الناس، فقال:
اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا
البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبته
سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت.
وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء
الفاستين.

وروي عن حبة العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود الى حذيفة
بالمدائن فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكم، ما خلفتما من قبائل
العرب أحداً أحب إلي منكما فأسندته الى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا
عبدالله حدثنا فإننا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفتنة التي فيها ابن سميّة، أنني سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفتنه الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه
ضياح من لبن».

(١) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة: ٤٧٨/٢.

قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: أئتوني بأخر رزق لي من الدنيا فأتي بضياح من لبن في قده أروح له حلقة حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعره، فقال:

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه^(١)

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه: يا أبت قتلتهم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال! قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن بنى المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمار ينقل حجرتين ولبتنتين لبتنتين فغشي عليه، فاتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «ويحك يا ابن سمية، الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرتين حجرتين ولبتنتين لبتنتين رغبة منك في الأجر وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» .

فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية! أما تسمع ما يقول عبدالله! قال: وماذا يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! أو نحن قتلنا عمارةً وإنما قتل عمار من جاء به^(٢) .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: واعجابه من قوم يعترهم

(١) الطبري: ٣٣١٧/١

(٢) الطبري: ٣٣٢١/١

الشك في أمرهم لمكان عمار ولا يعترتهم الشك لمكان علي عليه السلام! ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبتون بمكان علي عليه السلام! ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تقتلك الفئة الباغية» ويرتاعون لذلك. ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ولا لقوله: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» .

وهذا يدل على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخماد ذكره وستر فضائله، وتغطية خصائصه حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم^(١) . ويقول في موضع آخر: ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة وأبي الهيثم وعمار وغيرهم! لو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنه لو كان وحده، وحرابه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق وكانوا على الباطل^(٢) .

قال علي عليه السلام حين قُتل عمار: إن امرئاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد.

رحم الله عماراً يوم أسلم ورحم الله عماراً يوم قتل ورحم الله عماراً يوم

(١) شرح النهج: ١٧/٨.

(٢) شرح النهج: ١١٠/١.

بعث حياً، لقد رأيت عمّاراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ يشك أنّ عمّاراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين فهيناً لعمّار بالجنة، ولقد قيل: أنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه. يدور عمّار مع الحقّ أينما دار^(١).
وعن عليّ قال: ذكرت للنبيّ عمّاراً فقال: أمّا إنّه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم وذكرها كثير وتناؤها حسن^(٢).

قصة التحكيم

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ الذي دعا إليه طلب أهل الشام له، واعتصامهم به من سيوف أهل العراق. فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت ودلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القراع الى الخداع وكان ذلك برأي عمرو بن العاص، وهذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير، وهي الليلة العظيمة التي يضرب بها المثل ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب الى هوى ولا إدغال وهو من رجال أصحاب الحديث.

(١) كنز العمال: حديث ٣٧٤٠٨. فضائل الصحابة حرف العين.

(٢) كنز العمال: ٣٣٥٣/٥. ذكر الصحابة وفضلهم.

قال نصر: حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: سمعت تميم بن حذيم يقول: لما أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباه الرايات، أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف معاوية فلما اسفرنا إذ هي المصاحف قد رُبِطت في أطراف الرماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماع جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

قال نصر: وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا علياً بمائة مصحف، ووضعوا في كل مجنبه^(١) مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف.

ثم نادوا: يا معشر العرب الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال علي^{عليه السلام}: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بينا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين.

فاختلف أصحاب علي^{عليه السلام} في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها^(٢).

وقال علي^{عليه السلام}: أيها الناس، أتى أحق من أجاب الى كتاب الله ولكن

(١) المجنبه: ميمنة الجيش وميسرته.

(٢) شرح النهج: ٢/٢١٢، وصفين: ٤٧٨.

معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صفاراً ورجالاً فكانوا شرّ صفار وشرّ كبار ويحكم أنّها كلمة حقّ يراد بها باطل! إنهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً متقنين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد.

فنادوه باسمه لا بإمرة المسلمين: يا عليّ أجب القوم الى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان^(١).

قال نصر: وجاء الأشعث بن قيس الى عليّ عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم الى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل، قال: فأتته إن شئت، فأتاه فسأله: يا معاوية! لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم

(١) شرح النهج: ٢/٢١٦، والطبري: ١/٣٢٣، وصفين: ٤٨٩.

الى أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، وناخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحق.

وانصرف الى عليّ عليه السلام فأخبره فبعث عليّ عليه السلام قراءً من أهل العراق، وبعث معاوية قراءً من أهل الشام فاجتمعوا بين الصنفين، ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوا ورجع كل فريق الى صاحبه، فقال أهل الشام: إنّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري، فقال لهم عليّ عليه السلام: فإني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه.

فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسر بن فدكي في عصابة من القراء: إنّا لا نرضى إلا به فإنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه. فقال عليّ عليه السلام: فإنه ليس لي برضا وقد فارقتي وخذّل الناس عني، وهرب منّي حتى آمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك.

قالوا: والله ما نبالي، أكننت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس الى واحدٍ منكما بأدنى من الآخر، قال عليّ عليه السلام: فإني أجعل الأشر، فقال الأشعث: وهل سقر الأرض علينا إلا الأشر وهل نحن إلا في حكم الأشر قال عليّ عليه السلام: وما

حكّمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد^(١).

وتكرر صلح الحديبية كما قال خير البرية

قال نصر: فلما رضي أهل الشام بعمره وأهل العراق بأبي موسى. أخذوا في سطر كتاب المودعة، وكانت صورته:

«هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان» فقال معاوية بثس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته!

وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا. فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك، فإني أتخوف أن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها. فقال عليّ ﷺ: إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله ﷺ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، أني إذا لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبدالله.

فقال لي رسول الله ﷺ: «يا عليّ إني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله

ولن يمحو عتي الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبدالله: فكتبها وامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد^(١).

وروى أبو مخنف: لما كتبت الصحيفة دُعي لها الأشر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادة أو لست على بيتة من أمري، ويقين من ضلالة عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الخور.

فقال له الأشعث بن قيس: والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً، هلمّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة وللآخرة ولقد سفك الله عز وجل بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خيرٌ منهم، ولا أحرم دمًا، قال عمار بن ربيعة: فنظرت الى الأشعث فكأنما قصع على أنفه الحمم^(٢).

وقيل لعلِّي ﷺ لما كتبت الصحيفة: إن الأشر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم.

قال عليّ ﷺ: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا

(١) شرح النهج: ٢/٢٣٢، والكامل: ٣/٣٢٠، وصفين: ٥٠٨، والطبري: ٣٣٣٥/١، ومناقب الخوارزمي: ١٩٣.

(٢) الطبري: ١/٣٣٣٨، شرح النهج: ٢/٢٣٦، الكامل: ٣/٣٢١، وصفين: ٥١١.

أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله عز وجل ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله عز وجل وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولست أخافه على ذلك.

يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، إذ ألخفت عليّ مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم^(١).

مثل الكلب والحمار مسرحية جميلة

روى أبو مخنف ونصر: أن عمراً وأبا موسى حين التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسن مني، فتكلم وأتكلم. فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء، أراد بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع عليّ.

فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت. فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى أعلمهم

(١) الطبري: ٣٣٤٤/١، وشرح النهج: ٢/٢٤٠، والكامل: ٣/٣٢١.

بأن رأينا قد اجتمع واتفق فتكلم أبو موسى فقال: إن رأسي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبر يا أبا موسى تقدم فتكلم.

فتقدم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابن عباس: ويحك! والله أني لأظنه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر قدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم أنت بعده فإن عمراً رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك، فقال له: قد اتفقنا .

فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع رأبي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا من أحبوا عليهم.

وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحنى. وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله، غدرت وفجرت إنما مثلك

كمثل الكلب ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ .
قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا^(١) .

صدق النبي ﷺ

عن نصر عن أبي عبد الرحمن قال: حدثني العلاء بن يزيد القرشي، عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إن رسول الله غزا غزوة وأنتما معه، فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث فقال: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير»^(٢) .

وبهذا الإيجاز والاختصار، وبعون الملك القهار، نكتفي بما ذكرنا من أخبار، حول الفئة الباغية العاتية، كما نطق النبي جهوراً

(١) الطبري: ٣٣٥٩/١، وشرح النهج: ٢/٢٥٥، وصفين: ٥٤٥، والكامل:

٣٣٣/٣، والمسعودي: ٤١٠/٢.

(٢) صفين: ٢١٨، والعقد الفريد: ٩٣/٥، وكنز العمال: ٨٦/١١.

وعلانية، مما جاءت به الآثار الباقية، ثم يأتي الكلام عن الخوارج المارقين، كما سماهم سيد الأنبياء والمرسلين، الذين تلبسوا بلباس النسك والدين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء العظام وعلى آله الطيبين الكرام والحمد لله رب العالمين على أنعمه الجسام.

المارقون

سمّاهم بذلك رسول الله ﷺ، والأخبار كثيرة متظافرة مستفيضة متواترة، وهي من الدلائل الباهرة.

ونحن نذكر بعضها، يقول ﷺ: «أما إنه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوفه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسئون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شرّ البرية، برأ الله عزّ وجلّ منهم يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»^(١).

ويقول ﷺ: «إنّ قوماً من أمتي أشدّة ذلقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ المأجور من قتلهم»^(٢).

ويقول ﷺ: «إنّ فيكم قوماً يعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس

(١) كنز العمال حديث ٣١٢١٦.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٢٢٦.

وتعجبهم أنفسهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(١).
 فالناظر المتأمل، بل القارئ المتململ، إذ لحظ تلك الأخبار،
 أدرك حقيقة هؤلاء الأشرار، وخصوصياتهم ومميزاتهم، فكانوا
 يمتازون بكثرة العبادة لكنها قائمة على أساس الجهل فكانوا
 يعيشون بين إفراط وتفريط.

إفراط في العبادة من صلاة وقراءة قرآن وغيرها وتفريط في
 التعقل والتدبر والتفكير والوعي.

وهذه العبادة الفارغة أورثتهم الغرور والعُجب بأنفسهم
 فكانوا يرون أنفسهم أفضل الناس حتى أفضل من رسول الله ﷺ
 كما في الخبر الآتي.

فقد أخرج جماعة من أهل السنن والمسانيد من الأئمة
 وحفظة الآثار واللفظ لأبي يعلى في مسنده - كما في ترجمة
 ذي الثدية من إصابة ابن حجر - عن أنس قال:

كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد
 ذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه
 فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، قلنا: هو هذا.

قال: إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان، فأقبل

حتى وقف عليهم ولم يسلم.

فقال له رسول الله ﷺ: انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس

ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني.

قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل

الرجل؟ فقال: أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحان

الله؛ أقتل رجلاً يصلي؟! فخرج فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل

المصلين^(١).

قال: من يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته

فقال عمر: أبو بكر أفضل مني فخرج فقال النبي ﷺ: مهيم؟ قال:

وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله.

فقال: من يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا. فقال ﷺ: أنت إن أدركته،

فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع الى رسول الله ﷺ فقال: مهيم؟

قال: وجدته قد خرج. قال: لو قتل ما اختلف من أمي رجلان - الحديث.

في مسند أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري ص ١٥

من جزئه الثالث قال: إن أبا بكر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا

رسول الله إنني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشم

(١) إن صاحب هذه القصة أو الرجل الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله يلقب

بذي الثدي أو الخويصرة أو المخدج وصار فيما بعد رأس المارقين وكبيرهم.

حسن الهيئة يصلي، فقال له النبي ﷺ: اذهب إليه فاقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله، فرجع الى رسول الله ﷺ، قال فقال النبي ﷺ لعمر: اذهب فاقتله، فذهب عمر فرآه على تلك الحالة التي رآه أبو بكر قال: فكره أن يقتله، قال: فرجع فقال: يا رسول الله إني رأيتك يصلي متخشعاً، فكرهت أن أقتله. قال ﷺ: يا علي اذهب فاقتله، قال: فذهب علي فلم يره فرجع عليّ فقال: يا رسول الله إني لم أره، فقال النبي ﷺ: إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرّ البرية.

هنيئاً لكم أيها الشيخان ما أرفكما وما أرحمكما وما أرق وأشفق قلبكما فكاد أن يقتل هذا الرجل العابد المصلي الساجد وتقع السماء على الأرض لولا الاجتهاد مقابل النص، فهذه واحدة من فوائد تلك القاعدة حيث دفعت القتل عن رأس المارقين.

جهل وجدل

إنّ علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زُرعة بن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي التيمي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلّا لله فقال عليّ: لا حكم

إِلَّا لَّهِ، فَقَالَ لَهُ حَرْقُوصٌ: تَبُّ مِنْ خَطِيئَتِكَ وَارْجِعْ عَنْ قَضِيَّتِكَ
وَإِخْرَجْ بَنِي آلِي عَدُوَّنَا نَقَاتْلَهُمْ حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا.

فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: قَدْ أُرِدْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَ فَعَصَيْتُمُونِي، وَقَدْ كَتَبْنَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا وَشَرَطْنَا شُرُوطًا وَأَعْطَيْنَا عَلَيْهَا عَهْدَنَا وَمَوَائِقَنَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ .

فَقَالَ لَهُ حَرْقُوصٌ: ذَلِكَ ذَنْبٌ يَنْبَغِي أَنْ تَتُوبَ مِنْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ:
مَا هُوَ ذَنْبٌ وَلَكِنَّهُ عَجْزٌ مِنَ الرَّأْيِ وَضَعْفٌ مِنَ الْفِعْلِ وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِيمَا
كَانَ مِنْهُ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ زُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ: أَمَا وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ، لَنْ لَمْ
تَدْعُ تَحْكِيمَ الرَّجَالِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَاتَلْتُكَ أَطْلُبُ بِذَلِكَ
وَجْهَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: بؤساً لك ما أشقاك! كأنني بك قتيلاً تسفي عليك الريح.
قال: وودت أن قد كان ذلك فقال له عليٌّ: لو كنت محققاً كان في الموت
على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنَّ الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عزَّ وجلَّ إنَّه لا
خير لكم في دُنْيَا تَقَاتِلُونَ عَلَيْهَا، فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ يَحْكِمَانِ^(١).

وَمِنْ نَفْسِ الْمَصْدَرِ صَفْحَةُ ٨٤ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّا
حَكَمْنَا، فَلَمَّا حَكَمْنَا أَثْمَنَا وَكُنَّا بِذَلِكَ كَافِرِينَ، وَقَدْ تُبْنَا فَإِنْ تَبَّتْ
كَمَا تَبْنَا فَنَحْنُ مِنْكَ وَمَعَكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتزلْنَا فَإِنَّا مُنَابِذُونَ عَلَيَّ

(١) الطبري: ٣٣٦١/١، شرح النهج: ٧٢/٥، والكامل: ٣٣٤/٣.

سواء أن الله لا يحب الخائنين.

فقال عليّ ﷺ: أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر! أبعده ايما ني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين^(١).

الخلق الكريم حتى مع عدوه

قام عليّ ﷺ في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون، فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ يلتمس بها باطل! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا:

لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبتدءونا^(٢).

أقول: لا يخفى ما في هذا الخلق الكريم من العِظة والعبرة لمن يدّعي أنه من محبّي وشيعة أمير المؤمنين ﷺ فهل نحن مع من خالفنا الرأي هكذا أم نسارع الى تركه وهجره، وهل لكلمة إنسان أو إنسانية معنى في قاموس حياتنا كما هي عند عليّ ﷺ أم لا.

(١) الطبري: ٨٥/٤، والكامل: ٣٤٤/٣.

(٢) الطبري: ٣٣٦٢/١، وشرح النهج: ٧٣/٥، والكامل: ٣٣٥/٣.

شناعة وبشاعة

قال أبو مخنف عن عطاء عن عجلان، عن حميد بن هلال: إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ، ثم أهوى الى ثوبه يتناوله من الأرض - وكان سقط عنه لما أفزعوه - .

فقالوا له: أفر عنك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي ﷺ لعل الله ينفعنا به.

قال: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِتْنَةَ تَكُونُ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ، يَمْسِي فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَبْصَحُ فِيهَا كَافِرًا، وَيَبْصَحُ فِيهَا كَافِرًا وَيَمْسِي فِيهَا مُؤْمِنًا». فقالوا: ألهذا الحديث سألتك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محققاً في أوله وفي آخرها، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال:

أنه أعلم بالله منكم وأشد توقيماً على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنتقتلك قتلة ما قتلناها أحداً فأخذوه فكثفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حُبلى مِتم حتى نزلوا تحت نخلٍ مواقر فسقطت منه ربطة

فأخذها أحدهم فكدف بها في فمه.

فقال أحدهم: بغير جِلها وبغير ثمن! فلفظها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمرّ به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه. فقالوا: هذا فساد في الأرض فأتي صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم بأس، أني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني إذ قلت: لا روع عليك، فجاءوا به فأضجوه فذبحوه وسأل دمه في الماء.

وأقبلوا الى المرأة فقالت: إنما أنا امرأة ألا تتقون! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أم سنان الصيداوية. فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خباب، واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه.

فخرج حتى انتهى الى النهر ليسألهم، فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا الى القوم فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا الى

عدونا من أهل الشام^(١).

ويقول أبو العباس في الكامل فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً نصرانياً، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

وقال: وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بشمن، فقال: واعجبا! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون جنا نخلة إلا بشمن.

صدق الله وكذب المنجمون

عزم عليّ عليه السلام على الخروج الى الحرورية وكان في أصحابه منجم فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسير في هذه الساعة وسرّ عليّ ثلاث ساعات مضين من النهار فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عليّ عليه السلام: أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت، فقال عليّ عليه السلام: من صدّقك بهذا فقد كذب بالقرآن

(١) الطبري: ١/٣٣٧٥، ج ٥ ص ٨٢، والكامل لابن الأثير: ١/٣٤١.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ (١). ثم قال ﷺ: إِنَّ مُحَمَّدًا آتِيَةٌ مَا كَانَ يَدْعِي عِلْمَ مَا ادَّعَيْتَ عِلْمَهُ، أَنْزَعِمَ أَنْتَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي يَصِيبُ النِّفْعَ مِنْ سَارِ فِيهَا وَتَصْرِفُ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يَحِيقُ السُّوءُ بِمَنْ سَارَ فِيهَا! فَمَنْ صَدَقَكَ بِهَذَا فَقَدْ اسْتَفْنَى عَنِ اسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صَرْفِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ. وَيَنْبَغِي لِلْمَوْقِنِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيكَ الْحَمْدَ دُونَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، لِأَنَّهُ بَزَعَمَكَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي يَصِيبُ النِّفْعَ مِنْ سَارِ فِيهَا. وَصَرْفَتَهُ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يَحِيقُ السُّوءُ بِمَنْ سَارَ فِيهَا فَمَنْ آمَنَ بِكَ فِي هَذَا لَمْ آمَنَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كَمَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونَ اللَّهِ ضِدًّا وَنَدًّا.

اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا ضَرَّ إِلَّا ضَرُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ قَالَ: نَخَالَفُ وَنَسِيرُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي نَهَيْتُنَا عَنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَالتَّعَلَّمَ لِلنَّجُومِ إِلَّا مَا يَهْتَدِي بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

إِنَّمَا الْمُنْجِمُ كَالكَاهِنِ وَالكَاهِنُ كَالكَافِرِ وَالكَافِرُ فِي النَّارِ. أَمَا وَاللَّهِ لَسْنَا بَلْغَنِي أَنْتَ تَعْمَلُ بِالنَّجُومِ لِأَخْلَدَنَّكَ السَّجَنُ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَلا حَرَمَتِكَ الْعِطَاءُ مَا كَانَ لِي مِنْ سُلْطَانٍ.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم، فظفر بأهل النهر وظهر عليهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر وظهر.

أما أنه ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقبصر. أتيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه^(١).

كأني بك وقد وطأتك الخيل

لما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله ﷺ فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له: بايع علي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فقال ربيعة: علي سنة أبي بكر وعمر، قال علي: ويلك! أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم يكونا على شيء من الحق، فبايعه فنظر إليه علي وقال:

«أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقُتِلت، وكأني بك وقد وطئت الخيل بعوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة^(٢).

(١) شرح النهج: ٢٧٠/٢، والطبري: ٣٣٧٦/١ و: ٨٣/٥، والكامل: ٣٤٣/٣.

(٢) الطبري: ٣٣٦٧/١ و: ٧٦/٥، وابن الأثير: ٣٣٧/٣.

لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة

عن جندب قال: لَمَّا فارقت الخوارج علياً خرج في طلبهم وخرجنا معه فأنتهينا إلى عسكر القوم. فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن وإذا فيهم أصحاب النقبات وأصحاب البرانس! فلَمَّا رأيتهم دخلني من ذلك شدة فتنحيت فركزت رمحي ونزلت عن فرسي ووضعت برنسي فنشرت عليه درعي وأخذت بمقود فرسي فقممت أصلي إلى رمحي وأنا أقول في صلاتي: اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فأذن لي فيه وإن كان معصية فأرني براءتك.

قال: فأنا كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب على بغلة رسول الله ﷺ فلَمَّا جاء إلي قال: تعوذ بالله يا جندب من شر السخط، فجننت أسعى إليه، ونزل فقام يصلي إذ أقبل رجل على بردون يقرب به فقال: يا أمير المؤمنين قال: ما شأنك؟ قال: ألك حاجة في القوم. قال: وما ذلك؟ قال: قد قطعوا النهر فذهبوا قال: ما قطعوه.

قلت: سبحان الله! ثم جاء آخر أرفع منه في الجري فقال: يا أمير المؤمنين قال: ما تشاء؟ قال: ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذلك؟ قال: قد قطعوا النهر؟ قال علي: ما قطعوه. ثم جاء آخر فقال: قد قطعوا النهر. قال علي: ما قطعوه، ثم جاء آخر وقال كما قالوا.

فقال عليّ: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلنّ دونه، عهد من الله ورسوله.
قلت: الله أكبر ثم قمت فأمسكت له بالركاب ثم ركب فرسه
ثم رجعت الى درعي فلبستها وإلى قوسي فعلقتها وخرجت
أسايره فقال لي: يا جندب!

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين: قال: أما أنا فأبعث اليهم رجلاً يقرأ
المصحف يدعو الى كتاب الله ربهم وسنّة نبيهم فلا يقبل علينا بوجهه حتى
يرشقوه بالنبل، يا جندب أما إنّه لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة.

فانتهينا الى القوم وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه لم
يبرحوا فنادى عليّ في أصحابه فصفهم ثم أتى الصف من رأسه ذا
الى رأسه ذا مرتين ثم قال:

من يأخذ هذا المصحف فيمشي به الى هؤلاء القوم فيدعوهم الى كتاب
الله ربّه وسنّة نبيهم وهو مقتول وله الجنّة.

فأجابه شاب من بني عامر بن صعصعة، فخرج الشاب
بالمصحف الى القوم فلما دنا منهم نشبوه فقال عليّ: دونكم القوم!
قال جندب: فقتلت بكفي هذه ثمانية قبل أن أصلي الظهر، وما
قُتل منا عشرة، وما نجا منهم عشرة كما قال عليّ عليه السلام ^(١).

(١) كنز العمال: حديث ٣١٥٤٨، شرح النهج: ٢/٢٧٢، ابن الأثير: ٣/٣٤٥.

والبيهقي في المحاسن: ٢٨٣.

وأرسل عليّ إلى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعلّ الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم. فقالوا: كلنا قتلهم وكلنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم. وخرج اليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوّكم فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين!

فقال لهم عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلنا متابعيكم^(١).

وروى أبو عبيد معمر بن المثنى، قال: استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل عبدالله بن خباب فأقروا به فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة، فتكتبوا كتائب وأقرت كل كتيبة بمثل ما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه.

فقال عليّ: والله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله كذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدوا عليهم، فأنأ أول من شد عليهم، وحمل بذي الفقار حملة منكراً ثلاث مرات، كل حملة

(١) الطبري: ١/٣٣٧٧ و٥/٨٣، ابن الأثير: ٣/٣٤٣.

يضرب به حتى يعوج متنه ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم^(١).

حق القول كما قال الرسول ﷺ

قد روى جماعة أن علياً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج: «أَنْ قوماً يخرجون، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد»، سمعوا ذلك منه مراراً، فلما خرج أهل النهروان سار بهم إليهم علي وكان منه معهم ما كان؛ فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج. فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: «والله أنه لفِيهم، والله ما كذبت ولا كُذبت».

ثم إنه جاءه رجل فبشره، فقال: يا أمير المؤمنين قد وجدناه. وقيل: بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة والريان بن صبرة فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً.

فلما استخرجه نظر الى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سوداء فإذا مُدت امتدت حتى تحاذي يده

(١) شرح النهج: ٢/٢٨٢.

الطولى ثم تترك فتعود الى منكبه فلما رآه قال: «الله أكبر ما كذبت ولا كُذبت، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه.

وقال حين مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرتكم من غرتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين من غرتهم؟ قال: الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون^(١).

ويقول ابن أبي الحديد: روى جميع أهل السير كافة أن علياً ﷺ لما طحن القوم طلب ذا الشدية طلباً شديداً، وقلب القتلنى ظهراً لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول: والله ما كذبت ولا كُذبت، اطلبوا الرجل وإنه لفي القوم، فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدي في صدره^(٢).

وفي كنز العمال عن أبي كثير قال: كنت مع سيدي علي بن أبي طالب حين قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي: يا أيها الناس إن نبي الله ﷺ حدثني أن ناساً يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه أبداً. وآية ذلك أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كشدي

(١) الكامل لابن الأثير: ٣٤٧/٣، والطبري: ٣٣٨٤/١.

(٢) شرح النهج: ٢٧٦/٢.

المرأة لها حلمة كحلمة المرأة، فإني لا أراه إلا فيهم، فوجدوه على شفير النهر تحت القتلى. فقال: صدق الله ورسوله، وفرح الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجحدون^(١).
وقد ذكر الكثير من هذا القبيل في كنز العمال فمن أراد المزيد فليراجع.

المختار من الأخبار

عن أبي سعيد الخدري قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فانقطع شسع نعله فألقاها إلى علي بن أبي طالب يصلحها ثم قال: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».
فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه ذاكم خاصف النعل. ويد علي بن أبي طالب يصلحها.
قال أبو سعيد: فأتيت علياً فبشرته بذلك فلم يحفل، كأنه شيء قد كان علمه من قبل^(٢).

وذكره في كنز العمال في كتاب الفضائل عن أحمد وأبي يعلى والبيهقي والحاكم وسعيد بن منصور.

(١) كنز العمال حديث ٣١٥٦٣. كتاب الفتن والأهواء.

(٢) شرح النهج: ٢٠٧/٣.

وروى ابن ديزيل بإسناده عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي فأهدت له الأزد جزوراً فبعثوها معي فدخلت إليه فسلمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب، قد كرمك الله عز وجل بصحبة نبيه ﷺ ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة؟!

قال: إن رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ولم أرهم بعد^(١).

وذكره في كنز العمال في كتب الفتن والأهواء قسم الأفعال. عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين!

قال: إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين^(٢)

يقول ابن أبي الحديد: قد روى كثير من المحدثين عن

(١) شرح النهج: ٢٠٧/٣.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٧٢١.

عليّ ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال له: «إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين قال قلت: يا رسول الله. ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. وهم مخالفون للسنة، فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة، فأسال الله أن يجعلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أما إني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتغضب هذه، فكيف صبرك إذا، قلت: يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت^(١).

أقول: كل ما فعله أمير المؤمنين ﷺ من حرب وسلم مع الناكثين والقاسطين والمارقين، هي أوامر من الله ورسوله أمثلها وظهرت من خلاها معاجز ودلائل للنبي والوصي.

وكل ما فعلته الفرق أو الفئات الثلاثة كان تحذيراً ونهياً قد اشتهر وظهر على لسان النبي الأُمي.

وكل هذا العداء لأمير المؤمنين هو نتيجة حب الدنيا والتكالب عليها طلباً للرئاسة والسلطة والجاه والعلو والفساد، وكما

(١) شرح النهج: ٢٠٦/٩.

قال ﷺ: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها^(١).

لَمَّا دخل عليّ بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها^(٢).

وبنظر هذه اللثائي المتفرقات، ورضتها بعد أن كانت مبعثرات فأصبحت كالحور المتعانقات، من لحظها ولمحها سرّته، ومن نظر إليها وتأملها أغنته، كفاية لذوي النهى والدراية، ونور لأهل الهدى والولاية، وحنة في معرفة المبدأ والغاية، فنكتفي بهذا العقد المنضود.

والحمد لله أهل الكرم والجود وأصلي وأسلم على النبي المحمود وعلى آله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

(١) شرح النهج: ٢٠٠/١.

(٢) السيوطي في تاريخ الخلفاء نقلاً عن المدائني: ص ١٨٠.

رداً على عجل

اشترت كتاباً فما أن وصلت الى البيت أحببت أن أقرأ ما يقوله المحقق والمعلق الذي حَقَّق وعلَّق على الكتاب فما أن قرأت صفحة أو صفحتين وإذا بي أقرأ هذه الكلمة إن ابن أبي الحديد شيعي.

أصبت بوعدة نفسية وتأسفت وتأوهت وقلت في نفسي مثل هذا الكتاب يعلِّق عليه ويحقِّقه من لا يعرف أن يميِّز بين الشيعي والسني وعلقت آنذاك على كلمته هذه بقولي: اسم الله على هذه المعرفة وهذا العقل وينبغي أن تناط عليك التماثم والعود خوفاً من العيون والحسد.

وها أنا أورد على عجل، إذ قوله في غاية الجهل، فلا يحتاج الى بحث وجدل، فنظرت في شرح نهج البلاغة نظرة عجلان، واخترت من آراءه ما يكفي في البيان، إن الرجل من اتباع أبي بكر وعمر وعثمان، وبُعدّه عن الشيعة بعد المشرقين وأصوله وفروعه أخذها عن الشيخين، فكيف يكون شيعة لأبي الحسن والحسين.

آراء الرجل وعقيدته

١ - يقول في ج ١، ص ٧: اتفق شيوخنا كافة المتقدمون

والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية. وأنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالاختيار والذي ثبت بالإجماع.

أقول: أي شيعي يتفوه بهذا الكلام ومن هؤلاء الشيوخ الذين اتفقت كلمتهم، وهل هناك شيعي يخالف إمامه حيث يقول: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه يعلم أن محلي منها محل القطب من الرجا. وقوله بالاختيار الذي ثبت بالإجماع، أقول: إن الشيعة لا ترى أي قيمة للاجماع إلا إذا علم أن المعصوم أحدهم وهذا الاجماع الذي ذكره ابن أبي الحديد الظاهر أنه بحذف الهمزة.

٢- قوله في بداية كتاب شرح النهج: الحمد لله الواحد العدل... الى أن يقول: وقدم المفضل على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف.

أقول: لا ندري أي إله يقصد فإن كان يقصد الله الذي خلق الموجودات وبرأ السموات وأنزل الكتب وبعث الأنبياء والرسل فحاشاه وسبحانه فإن الشيعة لا تنسب هكذا تقديم لكبير قوم وزعيمهم لقبه ولما فيه من الاجحاف.

ولا أدري كيف ينسجم قوله هذا مع قوله أولاً حيث قال: الحمد لله الواحد العدل فوصفه بالعدل ثم نسب إليه انه قدم

المفضل على الأفضل.

فالظاهر أنّ المراد من هذا الإله الذي قدّم وأخر ما أشارت إليه الآية: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، فأبي شيعة هذا ينسب القبح والظلم الى الله في سبيل تصحيح تقدّم المفضل (أبي بكر) على الأفضل (عليّ).

٣- قوله في ج ١، ص ١٣: ودُعي بعد وفاة النبي ﷺ بوصي رسول الله، وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنّه لم تكن وصية بالخلافة.

٤- قوله في ج ١، ص ١٦٦: وتزعم الشيعة أن رسول الله ﷺ كان يعلم موته، وأنّه ستر أبا بكر وعمر في بعث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما، فيصفوا الأمر لعليّ ﷺ، ويبايعه من تخلف من المسلمين على سكون وطمأنينة....

أقول: وهل هذا زعم أم حقيقة وواقع بل إنّه من دلائل نبوته ثم انه لماذا يطاع رسول الله مع تكرار أوامره بتجهيز جيش أسامة، وكيف لا يعلم رسول الله موته وهؤلاء تلاميذه وأصحاب أمير المؤمنين عندهم علم المنايا والبلايا كرشيد الهجري.

وهل هناك دليل أقوى من الوقوع، فكلّ ما حذر منه الرسول وخافه وقع، فسبقاً عليّاً الى البيعة وجرى ما جرى.

٥- قوله في ج ٢، ص ٥٩: واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأمنها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية....

٦- قوله بعد ذكر قصة السقيفة ج ٦، ص ١٢ قلت: هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ولم يجز للنص ذكر....

٧- قوله في ج ١١، ص ١١١: وكل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقربة، وليس بدال عندنا على وجود النص، لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة وأسهل طريقاً. وأيسر لما يريد تناولاً أن يقول:

يا هؤلاء إن العهد لا يطل. وإن رسول الله ﷺ أمركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده....

٨- قوله في ج ١١، ص ١١٢: وكل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت في أمر واخطأت في أمر. أما الأمر الذي أصابت فيه فقولها: إنه امتنع وتلكأ، وأراد الأمر لنفسه وأما الأمر الذي اخطأت فيه فقولها: إنه كان منصوباً عليه

نصاً جلياً بالخلافة تعلمه الصحابة كلّها أو أكثرها، وإن ذلك النصّ خولف طلباً للرئاسة الدنيوية وإيثاراً للعاجلة.

أقول: ان ليس للجحود والانكار والعناد ردّ وجواب إلاّ قول ربنا سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا...﴾ .

وقوله تعالى: ﴿... ولن نؤمن لرفيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...﴾ .

وقوله تعالى: ﴿بل يريد كلّ امرئٍ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة﴾ .

فابن أبي الحديد وأمثاله ممن سبقه أو تأخر عنه لو أنزل على كلّ واحد منهم ملك معه صحف منسرة بولاية عليّ بن أبي طالب وخلافته لألفوا كتباً في الردّ عليها والتشكيك بها.

٩- قوله في غضب فاطمة على أبي بكر وعمر في ج ٦:

ص ٥٠: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألاّ يصلّي عليها وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما.

أقول: إنّ الشيعة تعتقد خلاف هذا وهو أنّ الله يرضى لرضاها

ويغضب لغضبها.

١٠- قوله في ج ١٧، ص ١٦٨: وأما حديث الهجوم على بيت

فاطمة عليها السلام فقد تقدّم الكلام فيه، والظاهر عندي صحّة ما يرويه

المرتضى والشيعة، ولكن لا كل ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك. وحقاً لأبي بكر أن يندم ويتأسف على ذلك، وهذا يدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى، فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعناً عليه.

١١ - توقفه في إيمان أبي طالب إذ يقول في ج ١٤، ص ٨٢: وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيئتين عند الحاكم وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين.

أقول: إن الشيعة تنظر الى أبي طالب كنظرها الى الأولياء والأوصياء وكما يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين: إن مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فاتاهم الله أجرهم مرتين.

ثم ان شعره الذي يعرب عن إيمانه، ونشره الذي يخبر عن جنانه ونصرته الإسلام بيده ولسانه أوضح من النصوص الجلية والأخبار العلية.

لكن مشكلة أبي طالب هي من قبل ابنه عليّ.

١٢ - رأيه في الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)

في ج ٧، ص ٥٩ يقول:

فإن قيل: ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال عليه السلام عنه: «بأبي ابن خير الإمام»؟ قيل: أما الإمامية فيزعمون أنه إمامهم الثاني عشر، وأنه ابن أمة اسمها نرجس، وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لأم ولد، وليس بموجود الآن.

١٣ - يقول في ج ١٢، ص ٢٠٠: واعلم أن أول من سنّ لأهل الغيبة من الشيعة القول بأن الإمام لم يمت ولم يقتل، وإن كان في الظاهر وفي مرأى العين قد قُتل أو مات إنما هو عمر. ولقد كان يجب على المرتضى وطائفته أن يشكروه على ما أسس لهم من هذا الاعتقاد.

أقول: إن الشيعة إنما قالت بغيبة الإمام (عجل الله تعالى فرجه) للنصوص الثابتة، وهل أخذت الشيعة برأي من آراء عمر حتى يؤسس لهم القول بغيبة الإمام.

وهذا يسير من كثير من آراء وعقائد ابن أبي الحديد، فيا أيها المحقق والمعلق هلاً تحققت من قولك إن ابن أبي الحديد شيعي. إنما الشيعي الذي يعتقد بولاية وإمامة الأئمة الإثني عشر أوله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وآخرهم المهدي المنتظر وأنهم معصومون وأنهم حجج الله على خلقه، فمن أنكر واحداً منهم أو

صفة من صفاتهم فليس على شيء من دين الله.

والشيعي هو الذي يأخذ منهم وعنهم كل أمور دينه، فلو اتبع غيرهم أو ردّ حكماً عليهم فحالهم عند الشيعة كمن تَمَصَّص الخِلافة. ولعلّ الذي غرّه بأن يقول ما قال هو المدح والثناء من قبل ابن أبي الحديد لعلّي وأهل البيت كما فعل الذين سبقوه حتى قال الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي
وقال:

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن انكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له
ولكن الشيعة لا ترى لهذا المدح والثناء وزناً إذا خلا عن الاعتقاد بإمامتهم والانتقياد لسلطانهم.

ويقولون فيهم: إن هؤلاء خوفاً من أن يُنسبوا إلى نفاق أو شرك أو شيطان وغير ذلك مما ثبت في حقّ من خالف عليّاً واتبع غيره، أظهروا الحبّ والمودة والتشيع، وبهذه الازدواجية في العقيدة تصوّروا أنهم شيعة لعلّي وأهل البيت.

فابن أبي الحديد واحد من هؤلاء حتى لو ملأ الدنيا شعراً ونثراً يمدح أهل البيت ويشني عليهم.

الشجرة الملعونة

يقول ابن أبي الحديد: وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أن رسول الله ﷺ أخبر أن بني أمية تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه، نحو ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾، فإن المفسرين قالوا: إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله ﷺ الذي فسّر لهم الآية به، فسأته ذلك، ثم قال: الشجرة الملعونة بنو أمية وبنو المغيرة^(١).

ويقول في ج ٤ ص ٧٩: وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم، عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله التابع والمتبوع ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الإسته» قالوا: يعني الكبير العجز .

وروى نصر، عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت أن

(١) شرح النهج: ٢٢٠/٩

(٢) تفسير القرطبي والفخر الرازي وكنز العمال: ج ١١/١٦٣ وج ١٤/٣٩.

البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيس»، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيس؟ قال: معاوية^(١).

وروي عن بليد بن سليمان حدثني الأعمش عن علي بن الأقرم قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله ﷺ وعايته فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله حدثنا ما شهدت ورأيت؟ قال: إن هذا أرسل إليّ - يعني معاوية - فقال: لكن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك.

فجشوت على ركبتني بين يديه ثم قلت: وددت أن أحد سيفي في جندك على عنقي، فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك.

وأيم الله ما يمنني أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال فيه: رأيت رسول الله ﷺ أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه، فهل ترونه يشبع؟

قال: وخرج [معاوية] من فجّ فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب».

قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال، قال: نعم، وإلا فصمتنا
أذناني كما عميتا عينايا^(١).

يقول ابن أبي الحديد: تظافرت الأخبار أن رسول الله ﷺ دعا
على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل ثم بعث فوجده
يأكل، فقال: «اللهم لا تشيع بطنه» قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهواية كأن في أحشائه معاوية^(٢)
ويقول في ج ٨، ص ٣٩٨: وقد كان فيهم قوم موصوفون
بكثرة الأكل منهم معاوية.

قال أبو الحسن المدائني في كتاب الأكلة: كان يأكل في اليوم
أربع أكلات أخراهن عظامهن، ثم يتعشى بعدها بشريدة عليها بصل
كثير ودهن كثير قد شغلها. وكان أكله فاحشاً يأكل فيلطح مندلين
أو ثلاثة قبل أن يفرغ وكان يأكل حتى يستلقي، يقول: يا غلام ارفع
فإني والله ما شبعت ولكن مللت^(٣).

وروى نصر عن محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن
سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي قال: أخبرني أبو هلال أنه

(١) وقعة صفين: ٢٢٠.

(٢) شرح النهج: ٥٥/٤.

(٣) ربيع الأبرار: ٢١٢/٣ - ٢٢٨.

سمع أبا برزة الأسلمي يقول: إنهم كانوا مع رسول الله ﷺ فسمعوا غناءً فتشرفوا له، فقام رجل فاستمع له، وذلك قبل أن تحرم الخمر... .

فأتاهم ثم رجع فقال: هذا معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:
يزال حوارِي تلوح عظامه

زوى الحرب عنه أن يُحسَّ فيقبرا
فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم أركهم في الفتنة ركساً، اللهم دُعهم الى النار دعاء»^(١).

يقول ابن أبي الحديد: لأم معاوية يزيد ابنه على سماع الغناء وحب القيان وقال له: أسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلم بلساني كلمة؟ قال: نعم، ولسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع لسانك، قال: والله لقد حدثني عمرو بن العاص - واستشهد على ذلك ابنه عبد الله بصدقه - .

أن أبا سفيان كان يخلع على المغني الفاضل من ثيابه ولقد حدثني أن جاريتي عبد الله بن جدعان غنته يوماً فأطربته، فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتى تجرد تجرد العري، ولقد كان هو

وعفان ابن أبي العاص ربّما حملا جارية العاص بن وائل على أعناقهما.

فمزّابها على الأبطح وجلة قريش ينظرون إليهما مرّة على ظهر أبيك ومرّة على ظهر عفان، فما الذي تنكر منّي! فقال معاوية: اسكت لحاك الله والله ما أحد الحقّ بأبيك هذا إلّا ليفرك ويفضحك وإن كان أبو سفيان ما علمت لثقل الحلم، يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الأناة، بعيد القعر وما سوّده قريش إلّا لفضله^(١).

يقول الجاحظ في كتاب التاج: قلت لإسحاق بن إبراهيم هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمغنين؟ قال: أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذ طرب للمغني والتدّه حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرّد حيث لا يراه إلّا خواص جواريه.

إلّا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نعر طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة: حسبك

(١) شرح النهج: ج ٨ ص ١٣٠.

يا جارية كفى انتهى أقصري يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجوارى.

فأما الباكون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد ما يُباليان ما صنعاً.

قلت: فعمر بن عبدالعزيز؟ قال: ما طنّ في سمعه حرف غناء منذ أفضت الخلافة إليه الى أن فارق الدنيا، فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل وكان ربما صفق بيديه وربما تمرغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فأما أن يخرج عن مقدار السرور الى السخف فلا^(١).

من مصادر الحديث

١ - عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، قال أبو صادق: قدم أبو أيوب الأنصاري العراق فاهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي فدخلت عليه فسلمت عليه، وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيته ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرة وهؤلاء مرة فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ المارقين فلم أرهم بعد^(١).

وروى علقمة والأسود عن أبي أيوب أنه قال: إن الرائد لا يكذب أهله وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ قتال

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤١/٥، أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا. تاريخ ابن

الناكثين والقاسطين والمارقين - الحديث (١).

وقال عتاب بن ثعلبة: قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي. ورواه عنه الأصمغ بن نباتة غير أن فيه أمرنا (٢).

٢ - أبو سعد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب (٣).

٣ - خلود العصري قال: سمع أمير المؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٤).

٤ - عبدالله بن مسعود قال: أمر رسول الله ﷺ علياً بقتال... الحديث (٥).

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ١٨٧/٣، كفاية الكنجي: ٧، تاريخ ابن كثير: ٧، ص ٣٠٦.

(٢) أخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره السيوطي برواية الحاكم في أربعينه وابن عبد البر في الاستيعاب: ٥٣/٣.

(٣) أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٢، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.

(٤) الخطيب في تاريخه: ٣٤٠/٨، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧.

(٥) أخرجه الطبراني والحاكم في أربعينه من طريقين وأبو عمر في الاستيعاب:

٥ - عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة، فجاء علي، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي^(١).

٦ - علي بن ربيعة الوالي قال: سمعت علياً يقول: عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل بعده القاسطين والناكثين والمارقين^(٢).

٧ - سعد بن عبادة قال: قال علي ﷺ: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣).

٨ - أخرج ابن عساكر من طريق زيد الشهيد عن علي إنه قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٤).

٩ - أنس بن عمرو عن أبيه عن علي ﷺ قال: أمرت بقتال ثلاثة:

→ ٥٣/٣، هامش الاصابة والهيتمي في مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.

(١) أربعين الحاكم، الرياض النضرة: ٢٤٠/٢، تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، مطالب السؤل: ٢٤، نقلاً عن مصابيح البغوي، فرائد السمطين باب ٢٧، كنز العمال: ٣٩١/٦.

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، والحافظ الهيتمي في المجمع: ٢٣٨/٧، وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٤/٧، وشرح المواهب للزرقاني: ٢١٧/٣، والمعيار والموازنة: ٥٥/٣٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.

(٣) أخرجه جمع من الحفاظ من غير طريق راجع ابن كثير: ٣٠٥/٧، وكنز العمال: ٧٢/٦.

(٤) تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، كنز العمال: ٣٩٢/٦.

المارقين والقاسطين والناكثين. أخرجه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧.

١٠ - أبو سعيد مولى رباب قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ^(١).

١١ - ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأم سلمة: يا أم سلمة إن علياً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قال ابن عباس: وقتلهم الله رضى وللامة صلاح ولأهل الضلالة سخط. قال الشامي: يابن عباس من الناكثون قال: الذين بايعوا علياً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون أهل النهروان ومن معهم. فقال الشامي: يابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عني فرج الله عنك أشهد أن علياً عليه السلام، مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ^(٢).

١٢ - السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون﴾ في سورة الزخرف قال: وأخرج

(١) ايضاح الأشكال للحافظ عبدالغني بن سعيد، المناقب للخوارزمي: ١٠٦ من طريق الحافظ ابن مردويه.

(٢) البيهقي في المحاسن والمساوي: ص ٤٠، والحموي في الفرائد باب ٢٧ وباب ٢٩ بطرق ثلاث والكنجي في الكفاية: ص ٦٩، والمتقي في الكنز: ٦، ص ١٥٤، من طريق الحافظ العقبلي.

ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَبِمَا نَضَعِيَنَّكَ بِكَ فَبِنَا مِنْهُمْ مَنَّتُونَ﴾، نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ إنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

١٣ - النسائي في خصائص أمير المؤمنين بإسناده عن زر بن حبيش أنه سمع علياً ﷺ يقول: أنا فقأت عين الفتنة ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولني أني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله عز وجل على لسان نبيكم ﷺ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ مَبْصَرًا لَضَلَّاتِهِمْ عَارِفًا بِالْهَدَى الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ^(١).

(١) ورواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الشافعي المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) في مطلع كتاب الغارات، وانظر تاريخ الطبري: ٥٠/٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٣٩/٣.

وأخرجه عبد بن أحمد في «السنّة» ص ٢٤٢، وأبو نعيم في حلية الأوصياء، وذكره المتقي في الكنز: ١٣٣/١١ طبع المطبعة العلمية بيروت.

أهم المصادر

- ١- تاريخ الطبري الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٢- الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- ٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار إحياء التراث العربي (١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ).
- ٤- كنز العمال للمتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ).
- ٥- وقعة صفين لنصر بن مزاحم، منشورات مكتبة المرعشي، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ).
- ٦- تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ).

٧- كتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ، تحقيق أحمد زكي باشا.

٨- طبقات ابن سعد، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٩- الأغاني لأبي الفرج الأُموي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٠- الروض الأيِّف للسهيلي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١١- العقد الفريد لابن عبدربه، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٢- ربيع الأبرار للزمخشري، مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

١٣- مروج الذهب للمسعودي، دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٤- المحاسن والمساوي للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت -

لبنان.

١٥- المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي.

١٦- تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة.

المرء بعد الموت أٌحدوثةٌ يَفنئ وتبقئ منه آثاره

فأحسن الحالات حالٌ امرئٍ تطيب بعد الموت أخباره

الفهرس

- كلمة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام ٥
مقدمة المؤلف ٩
«أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» ١٣

الناكثون

- طلحة ١٧
طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ١٨
طلحة مع أبي بكر ١٩
طلحة مع عمر ٢٠
طلحة مع عثمان ٢١
مروان يثأر لعثمان ٢٤
الزبير ٢٥
رأي عمر فيه ٢٦
موقف الزبير من عثمان ٢٧
تذكير وتحذير من قبل الأمير عليه السلام ٢٧

- ٢٩ العاقبة والمصير.....
- ٣١ طلحة والزبير تحت المجهر.....
- ٣٢ أم المؤمنين عائشة
- ٣٣ عائشة مع عثمان
- ٣٦ أخطأت في الثالث.....
- ٣٨ عائشة مع أمير المؤمنين عليه السلام.....
- ٤١ غناء وضرب بالدفوف.....
- ٤٣ سجدة الشكر.....
- ٤٤ ابتداء الغدر والنكث.....
- ٤٦ وتحرك الناكثون.....
- ٤٩ شتان ما بين الموقفين.....
- ٥٠ حفصة وعائشة نضال مشترك.....
- ٥٢ كلاب الحوآب.....
- ٦٠ خرجوا للإصلاح.....
- ٦٣ يوم الجمل الأصغر.....
- ٦٤ رسالة من أم إلى ابنها.....
- ٦٤ الأمر أمرها.....
- ٦٥ أعذر من أنذر.....

- ٦٦ مسلم اسم على مسمى
- ٧٤ كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره
- ٧٤ الإيثار
- ٧٥ من خطبة لعلي في قادة الجمل
- ٧٥ صدق رسول الله ﷺ

القاسطون

- ٧٨ الدعوة الى البيعة والطاعة
- ٧٩ شراء الدين والضمان
- ٨٢ قميص عثمان
- ٨٤ ويل للمطففين
- ٨٨ معاوية
- ٩٠ عداؤه وبغضه للنبي ﷺ
- ٩٢ همته الإمرة والرئاسة
- ٩٢ اتخذوا دينهم لهواً ولعباً
- ٩٣ نصره حيث كان التصر له
- ٩٤ ضئيل محقر
- ٩٥ عمرو بن العاص

- ٩٧..... عمرو بن العاص مع عثمان
- ٩٩..... ما ينطق عن الهوى
- ١٠١..... بطل بعورته يقاتل
- ١٠٢..... أبو موسى الأشعري
- ١٠٥..... أبو موسى يثبّط الناس عن نصره عليّ ﷺ
- ١٠٦..... النبيّ يخصّه بالعمود
- ١٠٨..... غلبه الغش
- ١١٠..... الأشعري في كلام عليّ ﷺ
- ١١٢..... ورث البغض لا عن كلاله
- ١١٢..... قديم الشيخ لأوليه
- ١١٣..... تشابهت قلوبهم
- ١١٤..... من أخبار عليّ في طريقه الى صفين
- ١١٥..... الراهب الشهيد
- ١١٦..... الخلق الكريم
- ١١٧..... علي مع القرآن
- ١١٨..... الإعلام المضلل والدعاية الممقوتة
- ١٢٠..... البدر يحفه البديون
- ١٢١..... مع ابن هند من لا سابقة له

- ١٢٣ الاستبصار على يدَيِّ عَمَّار
- ١٢٥ سَمَّهم بما سماهم الله
- ١٢٥ صدق النبي المختار في حقِّ عَمَّار
- ١٣٢ قصَّة التحكيم
- ١٣٦ وتكرر صلح الحديبية كما قال خير البرية
- ١٣٨ مثل الكلب والحمار مسرحية جميلة
- ١٤٠ صدق النبي ﷺ

المارقون

- ١٤٦ جهل وجدل
- ١٤٨ الخلق الكريم حتى مع عدوه
- ١٤٩ شناعة وبشاعة
- ١٥١ صدق الله وكذب المنجمون
- ١٥٣ كأني بك وقد وطأتك الخيل
- ١٥٤ لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة
- ١٥٧ حق القول كما قال الرسول ﷺ
- ١٥٩ المختار من الأخبار
- ١٦٣ ردًّا على عجل

- آراء الرجل وعقيدته ١٦٣
- الشجرة الملعونة ١٧١
- من مصادر الحديث ١٧٧
- أهم المصادر ١٨٣
- الفهرس ١٨٥